والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (27)

أي : يخرجكم من كل ما يكره إلى ما { والله يريد أن يتوب عليكم } يحب ويرضى { ويريد الذين يتبعون الشهوات } وهم الزناة وأهل الباطل في دينهم { أن تميلوا } عن الحق وقصد السبيل بالمعصية { ميلا عظيما } فتكونوا مثلهم

يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (28)

في كل أحكام الشرع { وخلق الإنسان { يريد الله أن يخفف عنكم } ضعيفا } يضعف من الصبر عن النساء

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (29)

وهو كل ما لا { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } يحل في الشرع كالربا والغصب والقمار والسرقة والخيانة { إلا أن تكون تجارة } لكن إن كانت تجارة { عن تراض منكم } برضى البيعين فهو حلال { ولا تقتلوا أنفسكم } لا يقتل بعضكم بعضا

ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (30)

أي : أكل المال بالباطل وقتل النفس { عدوانا } { ومن يفعل ذلك } وهو أن يعدو ما أمر به { وظلما فسوف نصليه } أي : ندخله نارا

{ وكان ذلك على الله يسيرا } أي : هو قادر على ذلك ولا يتعذر عليه

إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (31)

وهي كل ذنب ختمه الله بنار أو { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه } غضب أو لعنة أو عذاب أو وعيد في القرآن { نكفر عنكم سيئاتكم } التي هي دون الكبائر بالصلوات الخمس { وندخلكم مدخلا كريما } أي : الجنة

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (32)

الآية قالت أم سلمة { ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض } : يا رسول الله ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا وكان لنا مثل أجر الرجال فنزلت هذه الآية { للرجال نصيب } ثواب { مما اكتسبوا } من الجهاد { وللنساء نصيب } (ثواب) { مما اكتسبن } من حفظ فروجهن وطاعة أزواجهن { واسألوا الله من فضله } إن احتجتم إلى ما لغيركم فيعطيكم من فضله

ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا (33)

أي : ولكل شخص من الرجال والنساء { جعلنا موالي } { ولكل } عصبة وورثة { مما ترك الوالدان والأقربون } أي : ممن تركهم والداه وأقربوه أي : تشعبت العصبة والورثة عن الوالدين والأقربين ثم ابتدأ فقال : { والذين عقدت أيمانكم } وهو الحلفاء أي : عاقدت

حلفهم أيمانكم وهي جمع يمين من القسم وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل ويقول له : دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك فلما قام الإسلام جعل للحليف السدس وهو قوله : { فآتوهم نصيبهم } ثم نسخ ذلك بقوله : { وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله } { إن الله كان على كل شيء شهيدا } أي : لم يغب عنه علم ما خلق

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (34)

على تأديبهن والأخذ فوق أيديهن { الرجال قوامون على النساء } { بما فضل الله } الرجال على النساء بالعلم والعقل والقوة في التصرف والجهاد والشهادة والميراث { وبما أنفقوا } عليهن { من أموالهم } أي : المهر والإنفاق عليهن { فالصالحات } من النساء اللواتي هن مطيعات لأزواجهن وهو قوله : { قانتات حافظات للغيب } يحفظن فروجهن في غيبة أزواجهن { بما حفظ الله } بما حفظهن الله في إيجاب المهر والنفقة لهن وإيصاء الزوج بهن { واللاتي تخافون } تعلمون { نشوزهن } عصيانهن { فعظوهن } بكتاب الله وذكروهن الله وما أمرهن به { واهجروهن في المضاجع } فرقوا بينكم وبينهم في المضاجع (في الفرش) { واضربوهن } ضربا غير مبرح شديد وللزوج أن يتلافى نشوز امرأنه بما أذن الله تعالى فيه يعظها بلسانه فإن لم تنته هجر مضجعها فإن أبت ضربها فإن أبت أن تتعظ بالضرب بعث الحكمان { فإن أطعنكم } فيما يلتمس منهن { فلا تبغوا عليهن سبيلا } لا تتجنوا عليهن من العلل

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (35)

علمتم خلافا بين الزوجين { { شقاق بينهما } (علمتم) { وإن خفتم } فابعثوا حكما } أي : حاكما وهو المانع من الظلم من أقاربه { وحكما من أهلها } حتى يجتهدا وينظرا الظالم منهما فيأمراه بالرجوع إلى أمر الله أو يفرقا إن رأيا ذلك { إن يريدا } أي : الحكمان { إصلاحا يوفق الله بينهما } من الزوج والمرأة بالصلاح { إن الله كان عليما خبيرا } بما في قلوب الزوجين والحكمين قوله :

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا (36)

أي : أحسنوا بهما إحسانا وهو البر مع لين { وبالوالدين إحسانا } الجانب { وبذي القربى } وهو ذو القرابة يصله ويتعطف عليه { واليتامى } يرفق بهم ويدنيهم { والمساكين } ببذل يسير أو رد جميل { والجار ذي القربى } وهو الذي له مع حق الجوار حق القرابة { والجار الجنب } البعيد عنك في النسب { والصاحب بالجنب } وهو الرفيق في السفر { وابن السبيل } عابر الطريق (وقيل الضيف) يؤويه ويطعمه حتى يرحل { وما ملكت أيمانهم } أي : المماليك { إن الله لا يحب من كان مختالا } عظيما في نفسه لا يقوم بحقوق الله { فخورا } على عباده بما خوله الله من نعمته

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (37)

أي : اليهود بخلوا بأموالهم أن ينفقوها في طاعة { الذين يبخلون } الله تعالى { ويأمرون الناس بالبخل } أمروا الأنصار ألا ينفقوا أموالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا نخشى عليكم الفقر { ويكتمون ما آتاهم الله من فضله } أي : ما في

التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (38)

أي : المنافقين { ومن يكن { والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس } الشيطان له قرينا } يسول له ويعمل بأمره { فساء قرينا } بئس الصاحب الشيطان

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (39)

أي : على اليهود والمنافقين أي : ما كان يضرهم { وماذا عليهم } { لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما } لا يثيبهم بما ينفقون رئاء الناس

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (40)

لا ينقص أحدا { مثقال } مقدار { ذرة } إن كان { إن الله لا يظلم } مؤمنا أثابه عليها الرزق في الدنيا والأجر في الآخرة وإن كان كافرا أطعمه بها في الدنيا { وإن تك حسنة } من مؤمن { يضاعفها } لعشرة أضعافها { ويؤت من لدنه } من عنده { أجرا عظيما } وهو الجنة

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (41)

أي : فكيف يكون حال هؤلاء اليهود والمنافقين يوم القيامة { فكيف } ؟ وهذا استفهام ومعناه التوبيخ { إذا جئنا من كل أمة بشهيد } أي : بنبي كل أمة يشهد عليها ولها { وجئنا بك } يا محمد { على هؤلاء شهيدا } على هؤلاء المنافقين والمشركين شهيدا تشهد عليهم بما فعلوا

يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (42)

أي : في ذلك اليوم { يود الذين كفروا وعصوا الرسول } { يومئذ } وقد عصوه في الدنيا { لو تسوى بهم الأرض } أي : يكونون ترابا فيستوون مع الأرض حتى يصيروا وهي شيئا واحدا { ولا يكتمون الله حديثا } لأن ما عملوه ظاهر عند الله لا يقدرون على كتمانه

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (43)

أي : مواضع الصلاة أي : { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة } المساجد { وأنتم سكارى } نهوا عن الصلاة وعن دخول المسجد في حال السكر وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر والمسكر أوقات الصلاة والسكران : المختلط العقل الذي يهذي ولا يستمر كلامه ألا ترى أن الله تعالى قال : { حتى تعلموا ما تقولون } فإذا علم ما يقول لم يكن سكران ويجوز له الصلاة ودخول المسجد { ولا جنبا } أي : ولا تقربوها وأنتم جنب { إلا عابري سبيل } إلا إذا عبرتم المسجد فدخلتموه من غير إقامة فيه { حتى تغتسلوا } من الجنابة { وإن كنتم مرضى } أي :

مرضا يضره الماء كالقروح والجدري والجراحات { أو على سفر } أي : مسافرين { أو جاء أحد منكم من الغائط } أو الحدث { أو لامستم النساء } أي : لمستموهن بأيديكم { فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا } تمسحوا بتراب طيب منبت

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (44)

وهم اليهود { يشترون { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب } الضلالة } أي : يختارونها على الهدى بتكذيب محمد عليه السلام { ويريدون أن تضلوا السبيل } أن تضلوا أيها المؤمنون طريق الهدى

والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (45)

فهو يعلمكم ما هم عليه { وكفى بالله وليا { والله أعلم بأعدائكم } وكفى بالله نصيرا } أي : إن ولايته ونصرته إياكم تغنيكم عن غيره من اليهود ومن جرى مجراهم

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (46)

أي : قوم { يحرفون الكلم عن مواضعه } أي : { من الذين هادوا } يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم وزمانه ونبوته في كتابهم { ويقولون سمعنا } قولك { وعصينا } أمرك { واسمع غير مسمع } كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : اسمع ويقولون في أنفسهم : لا سمعت { وراعنا ليا بألسنتهم } أي : ويقولون راعنا

ويوجهونها إلى شتم محمد عليه السلام بالرعونة وذكرنا أن هذا كان سبا بلغتهم { ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا } مكان قولهم : سمعنا وعصينا وقالوا { واسمع وانظرنا } أي : انظر إلينا بدل قولهم : راعنا { لكان خيرا لهم } عند الله { ولكن لعنهم الله بكفرهم } فلذلك لا يقولون ما هو خير لهم { فلا يؤمنون إلا قليلا } أي : إيمانا قليلا وهو قولهم : الله ربنا والجنة حق والنار حق وهذا القليل ليس بشيء مع كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وليس بمدح لهم

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (47)

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل } أي : نمحو ما فيها من عين وفم وأنف ومارن { أن نطمس وجوها وحاجب فنجعلها كخف البعير أو كحافز الدابة { فنردها على أدبارها } نحولها قبل ظهورهم { أو نلعنهم } أو نجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأوائلهم { وكان أمر الله مفعولا } لا راد لحكمه ولا ناقض لأمره

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (48)

الآية وعد الله تعالى في هذه الآية { إن الله لا يغفر أن يشرك به } مغفرة ما دون الشرك فيعفو عن من يشاء ويغفر لمن يشاء إلا الشرك تكذيبا للقدرية وهو قوله : { ويغفر ما دون ذلك } أي : الشرك { لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما } أي : اختلق ذنبا غير مغفور

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (49)

أي : اليهود قالوا : نحن أبناء الله { ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم } وأحباؤه وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل { بل الله يزكي من يشاء } أي : يجعل من يشاء زاكيا طاهرا ناميا في الصلاح يعني : أهل التوحيد { ولا يظلمون فتيلا } لا ينقصون من الثواب قدر الفتيل وهو القشرة الرقيقة التي حول النواة ثم عجب نبيه عليه السلام من كذبهم فقال :

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا (50)

يعني : قولهم : يكفر عنا { انظر كيف يفترون على الله الكذب } ذنوبنا { وكفى به } بافترائهم { إثما مبينا } أي : كفى ذلك في التعظيم

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (51)

يعني : علماء اليهود { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب } { يؤمنون بالجبت } أي : الأصنام { والطاغوت } سدنتها وتراجمتها وذلك أنهم حالفوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجدوا لأصنام قريش وقالوا لهم : أنتم أهدى من محمد عليه السلام وأقوم طريقة ودينا وهو قوله : { ويقولون للذين كفروا } يعني : قريشا { هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا } وقوله :

أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (52)

قال تعالى { أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا

{

أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (53)

أي : بل ألهم نصيب من الملك ؟ يعني : ليس { أم لهم نصيب } لليهود ملك ولو كان إذا لهم لم يؤتوا أحدا شيئا وهو قوله : { فإذا لا يؤتون الناس نقيرا } أي : لضنوا بالقليل وصفهم الله بالبخل في هذه الآية والنقير يضرب مثلا للشيء القليل وهو نقرة في ظهر النواة (منها) تبنت النخلة

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (54)

يعني : محمدا عليه السلام { على ما آتاهم { أم يحسدون الناس } الله من فضله } حسدت اليهود محمدا عليه السلام على ما آتاه من النبوة وما أباح له من النساء وقالوا : لو كان نبيا لشغله أمر بالنبوة عن النساء فقال الله تعالى : { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة } يعني : النبوة { وآتيناهم ملكا عظيما } يعني : ملك داود وسليمان عليهما السلام وما أوتوا من النساء فكان لداود تسع وتسعون ولسليمان ألف من بين حرة ومملوكة والمعنى : أيحسدون النبي عليه السلام على النبوة وكثرة النساء وقد كان ذلك في آله لأنه من آل إبراهيم عليه السلام

فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (55)

من أهل الكتاب { من آمن به } بمحمد عليه السلام { فمنهم } { ومنهم من صد عنه } أعرض عنه فلم يؤمن { وكفى بجهنم سعيرا : } عذابا لمن لا يؤمن وقوله

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (56)

يعني : أن جلودهم إذا { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها } نضجت واحترقت جددت بأن ترد إلى الحال التي كانت عليها غير محترقة { ليذوقوا العذاب } ليقاسوه وينالوه { إن الله كان عزيزا } : قويا لا يغلبه شيء { حكيما } فيما دبر وقوله

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (57)

يعني : ظل هواء الجنة وهو ظليل أي : دائم لا { وندخلهم ظلا ظليلا } تنسخه الشمس

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (58)

نزلت في رد مفتاح { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } الكعبة على عثمان بن طلحة الحجبي حين أخذ منه قسرا يوم فتح مكة فأمره الله تعالى برده عليه ثم هذه الآية عامة في رد الأمانات إلى أصحابها كيف ما كانوا { إن الله نعما يعظكم به } أي : نعم شيئا يعظكم به وهو القرآن { إن الله كان سميعا } لمقالتكم في الأمانة والحكم { بصيرا } بما تعملون فيها قال أبو مرزوق : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان : أعطني المفتاح فقال : هاك بأمانة الله ودفعه إليه فأراد عليه السلام أن يدفعه إلى العباس فنزلت هذه الآية

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان : هاك بأمانة الله خالدة تالدة لا ينزعها عنكم إلا ظالم ثم إن عثمان هاجر ودفع إلى أخيه شيبة فهو في ولده إلى اليوم

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (59)

{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } وهم العلماء والفقهاء وقيل : الأمراء والسلاطين وتجب طاعتهم فيما وافق الحق { فإن تنازعتم } اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق : القول قولي فردوا الأمر في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله { ذلك خير } أي : ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وردك التجادل { وأحسن تأويلا } وأحمد عاقبة

ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (60)

الآية وقع نزاع بين يهودي ومنافق فقال { ألم تر إلى الذين يزعمون } اليهودي : بيننا أبو القاسم وقال المنافق : لا بل نحكم بيننا كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية وهو قوله : { يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت } ومعناه : ذو الطغيان { وقد أمروا أن يكفروا به } أي : أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم { ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا } لا يرجعون عنه إلى دين الله أبدا وهذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين

يصدون عنك صدودا (61)

أي : للمنافقين { تعالوا إلى ما أنزل الله } أي : في { وإذا قيل لهم } القرآن من الحكم { وإلى الرسول } وإلى حكم الرسول { رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا } يعرضون عنك إعراضا إلى غيرك عداوة للدين

فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (62)

أي : فكيف يصنعون ويحتالون { إذا أصابتهم مصيبة } { فكيف } مجازاة لهم على ما صنعوا وهو قوله : { بما قدمت أيديهم } وتم الكلام ههنا ثم عطف على معنى ما سبق فقال : { ثم جاؤوك يحلفون بالله } أي : تحاكموا إلى الطاغوت وصدوا عنك ثم جاؤوك يحلفون وذلك أن المنافقين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة إلا توفيقا بين الخصوم أي : جمعا وتأليفا وإحسانا بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق : وكل ذلك كذب منهم لأن الله تعالى قال

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (63)

أي : من الشرك والنفاق { أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم } { فأعرض عنهم } أي : اصفح عنهم { وعظهم } بلسانك { وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا } أي : خوفهم بالله وازجرهم عما هم عليه بأبلغ الزجر كيلا يستسروا الكفر

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم

جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (64)

فيما يأمر به ويحكم لا ليعصى { وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع } ويطلب الحكم من غيره وقوله : { بإذن الله } أي : لأن الله أذن في ذلك وأمر بطاعته { ولو أنهم } أي : المنافقين { إذ ظلموا أنفسهم } بالتحاكم إلى الكفار { جاؤوك فاستغفروا الله } فزعوا وتابوا إلى الله وقوله :

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (65)

أي : ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك { فلا } { وربك لا يؤمنون } حقيقة الإيمان { حتى يحكموك فيما شجر } اختلف واختلط { بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا } ضيقا وشكا { مما قضيت } أي : أوجبت { ويسلموا } الأمر إلى الله وإلى رسوله من غير معارضة بشيء

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (66)

أي : على هؤلاء المنافقين من اليهود { أن { ولو أنا كتبنا عليهم } اقتلوا أنفسكم } كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل { أو اخرجوا من دياركم } كما كتبنا على المهاجرين { ما فعلوه إلا قليل منهم } للمشقة فيه مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه { ولو أنهم فعلوا ما يوعظون } ما يؤمرون به من أحكام القرآن { لكان خيرا لهم } في معاشرتهم وفي ثوابهم { وأشد تثبيتا } منهم لأنفسهم في الدين وتصديقا بأمر الله

وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (67)

أي : مما لا يقدر عليه غيرنا { أجرا عظيما } { وإذا لآتيناهم من لدنا } أي : الجنة

ولهديناهم صراطا مستقيما (68)

أرشدناهم { صراطا مستقيما } إلى دين مستقيم وهو { ولهديناهم } دين الحنيفية لا دين اليهودية

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (69)

الآية قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم : { ومن يطع الله } ما لنا منك إلا الدنيا فإذا كانت الآخرة رفعت في الأعلى فحزن وحزنوا فنزلت { ومن يطع الله } في الفرائض { والرسول } في السنن { فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين } أي : إنه يستمتع برؤيتهم وزيارتهم فلا يتوهمن أنه لا يراهم { والصديقين } أفاضل أصحاب الأنبياء { والشهداء } القتلى في سبيل الله { والصالحين } أي : أهل الجنة من سائر المسلمين { وحسن أولئك } الأنبياء وهؤلاء { رفيقا } أي : أصحابا ورفقاء

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (70)

أي : ذلك الثواب وهو الكون مع النبيين { الفضل من الله } { ذلك }

تفضل به على من أطاعه { وكفى بالله عليما } بخلقه أي : إنه عالم لا يخفى عليه شيء ولا يضيع عنده عمل ثم حث عباده المؤمنين على الجهاد فقال :

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (71)

سلاحكم عند لقاء العدو { فانفروا { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم } } أي : فانهضوا إلى لقاء العدو { ثبات } جماعات متفرقين إذا لم يكن معكم الرسول { أو انفروا جميعا } إذا خرج الرسول إلى الجهاد

وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (72)

أي : ليتخلفن ويتثاقلن عن الجهاد وهم { وإن منكم لمن ليبطئن } المنافقون وجعلهم من المؤمنين من حيث إنهم أظهروا كلمة الإسلام فدخلوا تحت حكمهم في الظاهر { فإن أصابتكم مصيبة } من العدو وجهد من العيش { قال قد أنعم الله علي } بالقعود حيث لم أحضر فيصيبني ما أصابكم

ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (73)

فتح وغنيمة { ليقولن } هذا المنافق { ولئن أصابكم فضل من الله } قول نادم حاسد : { يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما } أي : لأسعد بمثل ما سعدوا به من الغنيمة وقوله : { كأن لم تكن بينكم وبينه مودة } متصل في المعنى بقوله : { قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم } { كأن لم تكن بينكم وبينه مودة } أي : كأن لم يعاقدكم على الإسلام ويعاضدكم على قتال عدوكم ولم يكن بينكم وبينه مودة

: في الظاهر ثم أمر المؤمنين بالقتال فقال

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (74)

أي : يبيعون { الحياة الدنيا { فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون } بالآخرة } أي : بالجنة أي : يختارون الجنة على البقاء في الدنيا { ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل } فيستشهد { أو يغلب } فيظفر فكلاهما سواء وهو معنى قوله : { فسوف نؤتيه أجرا عظيما } ثوابا لا صفة له ثم حض المؤمنين على الجهاد في سبيله لاستنقاذ ضعفة المؤمنين من أيدي المشركين فقال :

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا (75)

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال } وهم قوم بمكة استضعفوا فحبسوا وعذبوا { والنساء والولدان { الذين يقولون ربنا أخرجنا } إلى دار الهجرة { من هذه القرية } مكة { الظالم أهلها } أي : جعلوا لله شركاء { واجعل لنا من لدنك وليا } أي : ول علينا رجلا من المؤمنين يوالينا { واجعل لنا من لدنك نصيرا } ينصرنا على عدوك فاستجاب الله دعاءهم وولى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد وأعانهم (الله) به فكانوا أعز بها من الظلمة قبل ذلك

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (76)

في طاعة الله { والذين كفروا { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله } يقاتلون في سبيل الطاغوت } أي : في طاعة الشيطان { فقاتلوا أولياء الشيطان } عبدة الأصنام { إن كيد الشيطان كان ضعيفا } يعني : خذلانه إياهم يوم قتلوا ببدر

ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (77)

عن قتال المشركين وأدوا { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم } ما فرض عليكم من الصلاة والزكاة نزلت في قوم من المؤمنين استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم { فلما كتب عليهم القتال } بالمدينة { إذا فريق منهم يخشون الناس } أي : عذاب الناس بالقتل { كخشية الله } كما يخشى عذاب الله { أو أشد } أكبر { خشية } وهذه الخشية إنما كانت لهم من حيث طبع البشرية لا على كراهية أمر الله بالقتال { وقالوا } جزعا من الموت وحرصا على الحياة : { ربنا لم كتبت } فرضت { علينا القتال لولا } هلا { أخرتنا إلى أجل قريب } وهو الموت أي : هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا وعافيتنا من القتل { قل } لهم يا محمد : { متاع الدنيا قليل } أجل الدنيا قريب وعيشها قليل { والآخرة } الجنة { خير لمن اتقى } ولم يشرك به شيئا { ولا تظلمون فتيلا } أي : لا تنقصون من ثواب أعمالكم مثل فتيل النواة : ثم أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم ولو تمنعوا بأمنع الحصون فقال

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (78)

حصون وقصور { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج } { مشيدة } مطولة مرفوعة وقيل : بروج السماء { وإن تصبهم } يعني : المنافقين واليهود { حسنة } خصب ورخص سعر { يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة } جدب وغلاء { يقولوا هذه من عندك } من شؤم محمد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكفرت اليهود أمسك الله عنهم ما كان قد بسط عليهم فقالوا : ما رأينا أعظم شؤما من هذا نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا منذ قدم علينا فقال الله تعالى : { قل كل } أي : الخصب والجدب { من عند الله } من قبل الله { فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا } لا يفهمون القرآن

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (79)

يا ابن آدم { من حسنة } فتح وغنيمة وخصب فمن { ما أصابك } تفضل الله { وما أصابك من سيئة } من جدب وهزيمة وأمر تكرهه { فمن نفسك } فبذنبك يا ابن آدم { وأرسلناك } يا محمد { للناس رسولا وكفى بالله شهيدا } على رسالتك

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (80)

يعني : إن طاعتكم لمحمد طاعة { من يطع الرسول فقد أطاع الله } لله { ومن تولى } أعرض عن طاعته { فما أرسلناك عليهم حفيظا } أي : حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع أي : ليس عليك بأس لتوليه لأنك لم ترسل عليهم حفيظا من المعاصي

ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول

والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (81)

أي : المنافقون { طاعة } أي : طاعة لأمرك { فإذا { ويقولون } برزوا } خرجوا { من عندك بيت } قدر وأضمر { طائفة منهم غير الذي تقول } لك من الطاعة أي : أضمروا خلاف ما أظهروا وقدروا ليلا خلاف ما أعطوك نهارا { والله يكتب ما يبيتون } أي : يحفظ عليهم ليجازوا به { فأعرض عنهم } أي : فاصفح عنهم وذلك أنه نهي عن قتل المنافقين في ابتداء الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله : { جاهد الكفار والمنافقين }

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (82)

أي : المنافقون (أفلا) يتأملون ويتفكرون { أفلا يتدبرون القرآن } فيه { ولو كان } القرآن { من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا } بالتناقض والكذب والباطل وتفاوت الألفاظ

وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (83)

نزلت في أصحاب الأراجيف وهم قوم { وإذا جاءهم أمر من الأمن } من المنافقين كانوا يرجفون بسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرون بما وقع بها قبل أن يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فيضعفون قلوب المؤمنين بذلك ويؤذون النبي عليه السلام بسبقهم إياه بالإخبار وقوله : { أمر من الأمن } حديث فيه أمن { أو الخوف } يعني : الهزيمة { أذاعوا به } أي : أفشوه { ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم } ولو سكتوا عنه حتى يكون الرسول

هو الذي يفشيه وأولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وقيل : أمراء السرايا { لعلمه الذين يستنبطونه } يتبعونه ويطلبون علم ذلك { منهم } من الرسول وأولي الأمر { ولولا فضل الله } أي : الإسلام { ورحمته } القرآن { لاتبعتم الشيطان إلا قليلا } ممن عصم الله كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب نحو زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وطلاب الدين وهذا تذكير للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلموا من النفاق وما ذم به المنافقون

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا (84)

أي : إلا فعل نفسك على { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك } معنى : أنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف من يتخلف عن الجهاد { وحرض المؤمنين } حضهم على القتال { عسى الله } واجب من الله { أن يكف } يصرف ويمنع { بأس الذين كفروا } شدتهم وشوكتهم { والله أشد بأسا } عذابا { وأشد تنكيلا } عقوبة

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (85)

هي كل شفاعة تجوز في الدين { يكن له { من يشفع شفاعة حسنة } نصيب منها } كان له فيها أجر { ومن يشفع شفاعة سيئة } أي : ما لا يجوز في الدين أن يشفع فيه { يكن له كفل منها } أي : نصيب من الوزر والإثم { وكان الله على كل شيء مقيتا } مقتدرا

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا (86)

أي : إذا سلم عليكم بسلام { فحيوا بأحسن منها { وإذا حييتم بتحية } } أي : أجيبوا بزيادة على التحية إذا كان المسلم من أهل الإسلام { أو ردوها } إذا كان من أهل الكتاب (فقولوا : عليكم ولا تزيدوا على ذلك) { إن الله كان على كل شيء حسيبا } (حفيظا) مجازيا

الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا (87)

أي : والله ليجمعنكم في القبور { إلى { الله لا إله إلا هو ليجمعنكم } يوم القيامة لا ريب فيه } لا شك فيه { ومن أصدق من الله حديثا } أي : قولا وخبرا يريد : أنه لا خلف لوعده

فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (88)

نزلت في قوم قدموا على رسول { فما لكم في المنافقين فئتين } الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقاموا ما شاء الله ثم قالوا : إنا اجتوينا المدينة فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أن يخرجوا فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المؤمنون فيهم فقال بعضهم : إنهم كفار مرتدون وقال آخرون : هم مسلمون حتى تعلم أنهم بدلوا فبين الله كفرهم في هذه الآية والمعنى : ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين على فئتين على فرقتين { والله أركسهم } ردهم إلى حكم الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل { بما كسبوا } بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق { أتريدون } أيها المؤمنون { أن تهدوا } أي : ترشدوا { من أضل الله } لم يرشده الله أي : يقولون : هؤلاء مهتدون والله قد أضلهم { ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا } أي : دينا وطريقا إلى الحجة

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (89)

أي : هؤلاء { لو تكفرون كما كفروا فتكونون } أنتم وهم { ودوا } { سواء فلا تتخذوا منهم أولياء } أي : لا توالوهم ولا تباطنوهم { حتى يهاجروا في سبيل الله } حتى يرجعوا إلى رسول الله { فإن تولوا } عن الهجرة وأقاموا على ما هم عليه { فخذوهم } بالأسر { ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا } أي : لا تتولوهم ولا تستنصروا بهم على عدوكم

إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (90)

أي : فاقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يتصلون { إلا الذين يصلون } ويلتجئون { إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق } فيدخلون فيهم بالحلف والجوار { أو جاؤوكم حصرت صدورهم } يعني : أو يتصلون بقوم جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم بقتالكم وهم بنو مدلج كانوا صلحا للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا بيان أن من انضم إلى قوم ذوي عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فله مثل حكمهم في حقن الدم والمال ثم نسخ هذا كله بآية السيف ثم ذكر الله تعالى منته بكف بأس المعاهدين فقال : { ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم } يعني : إن ضيق صدوركم عن قتالهم إنما هو لقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ولو قوى الله تعالى قلوبهم على قتالكم لقاتلوكم { فإن اعتزلوكم } أي : في الحرب { وألقوا إليكم السلم } أي : الصلح { فما جعل الله لكم عليهم سبيلا } في قتالهم وسفك دمائهم ثم أمره بقتال من لم يكن على مثل سبيل هؤلاء فقال :

ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (91)

الآية هؤلاء قوم كانوا يظهرون الموافقة لقومهم { ستجدون آخرين } من الكفار ويظهرون الإسلام للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يريدون بذلك الأمن في الفريقين فأطلع الله نبيه عليه السلام على نفاقهم وهو قوله : { يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم } وقوله : { كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها } كلما دعوا إلى الشرك رجعوا فيه { وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا } أي : حجة بينة في قتالهم لأنهم غدرة لا يوفون لكم بعهد

وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما (92)

ألبتة { إلا خطأ } إلا أنه قد يخطئ { وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا } المؤمن بالقتل { ومن قتل مؤمنا خطأ } مثل أن يقصد بالرمي غيره فأصابه { فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله } إلى جميع ورثته { إلا أن يصدقوا } أي : يعفوا ويتركوا الدية { فإن كان } المقتول { من قوم } حرب لكم وكان مؤمنا { فتحرير رقبة مؤمنة } كفارة للقتل ولا دية لأن عصبته وأهله كفار فلا يرثون ديته { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق } كأهل الذمة فتجب فيه الدية والكفارة { فمن لم يجد } الرقبة { فصيام شهرين متتابعين توبة من الله } أي : ليقبل الله توبة القاتل حيث لم يبحث عن المقتول وحاله وحيث لم يجتهد حتى لا يخطئ

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (93)

الآية غلظ الله وعيد قاتل المؤمن عمدا { ومن يقتل مؤمنا متعمدا } للمبالغة في الردع والزجر

يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (94)

أي : سرتم في الأرض { فتبينوا } { يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم } أي : تأنوا وتثبتوا نزلت في رجل كان قد انحاز بغنم له إلى جبل فلقي سرية من المسلمين عليهم أسامة ين زيد فأتاهم وقال : السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان قد أسلم فقتله أسامة واستاقوا غنمه فنزلت نهيا عن سفك دم من هو على مثل هذه الحالة وذلك أن أسامة قال : إنما قالها متعوذا فقال الله : { ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام } أي : حياكم بهذه التحية { لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا } أي : متاعها من الغنائم { فعند الله مغانم كثيرة } يعني : ثوابا كبيرا لمن ترك قتل من ألقى إليه السلام { كذلك كنتم من قبل } كفارا ضلالا كما كان هذا المقتول قبل إسلامه ثم من الله عليكم بالإسلام كما من على المقتول أي : إن كل من أسلم ممن كان كافرا فبمنزلة هذا الذي تعوذ بالإسلام قبل منه ظاهر الإسلام ثم أعاد الأمر بالتبين فقال : { فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا } أي : علم أنكم قتلتموه على ماله ثم حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته إلى أهله ورد عليهم غنمه واستغفر لأسامة وأمره بعتق رقبة

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في

سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (95)

أي : الأصحاء { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر } الذين لا علة بهم تضرهم وتقطعهم عن الجهاد لا يستوي هؤلاء { والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين } من أهل العذر { درجة } لأن المجاهدين باشروا الطاعة والقاعدين من أهل العذر قصدوها وإن كانوا في الهمة والنية على قصد الجهاد فمباشرة الطاعة فوق قصدها بالنية { وكلا } من المجاهدين والقاعدين المعذورين { وعد الله الحسنى } الجنة { وفضل الله المجاهدين على القاعدين } من غير عذر { أجرا عظيما }

درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (96)

أي : منازل بعضها فوق بعض من منازل الكرامة { درجات منه }

إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (97)

أي : قبضت أرواحهم نزلت في قوم { إن الذين توفاهم الملائكة } كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا حتى خرج المشركون إلى بدر فخرجوا معهم فقتلوا يوم بدر فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقوله : { ظالمي أنفسهم } بالمقام في دار الشرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين { قالوا فيم كنتم } أي : قالت الملائكة لهؤلاء سؤال توبيخ وتقريع : أكنتم في المشركين أم كنتم في المسلمين ؟ فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك في دارهم فـ { قالوا كنا

مستضعفين في الأرض } أي : في مكة فحاجتهم الملائكة بالهجرة إلى غير دارهم و { قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا } أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل النار ثم استثنى من صدق في أنه مستضعف فقال :

إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (98)

أي : الذين يوجدون ضعفاء { لا يستطيعون حيلة { إلا المستضعفين } } لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة للخروج { ولا يهتدون سبيلا } لا يعرفون طريقا إلى المدينة

فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (99)

قال تعالى { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا }

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (100)

أي : مهاجرا { ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما } ومتحولا { كثيرا وسعة } في الرزق { ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله } الآية نزلت في حبيب بن ضمرة الليثي وكان شيخا كبيرا خرج متوجها إلى المدينة فمات في الطريق فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو وافى المدينة لكان أتم أجرا فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أن من قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن تمامها كتب الله ثواب تمام تلك الطاعة ومعنى { وقع أجره على الله }

وجب ذلك بإيجابه

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (101)

الآية نزلت { وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا } في إباحة قصر الصلاة في السفر وظاهر القرآن يدل على أن القصر يستباح بالسفر والخوف لقوله : { إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا } أي : يقتلكم والإجماع منعقد على أن القصر يجوز في السفر من غير خوف وثبتت السنة بهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر الخوف في الآية على حال غالب أسفارهم في ذلك الوقت ثم ذكر صلاة الخوف فقال :

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا (102)

أي : إذا كنت أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم { وإذا كنت فيهم } وخوفهم { فأقمت لهم الصلاة } أي : ابتدأت بها إماما لهم { فلتقم طائفة منهم معك } نصفهم يصلون معك { وليأخذوا } أي : وليأخذ الباقون أسلحتهم { فإذا سجدوا } فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك { فليكونوا من ورائكم } أي : الذين أمروا بأخذ السلاح { ولتأت طائفة أخرى } أي : الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم { لم يصلوا } (معك الركعة الأولى) { فليصلوا معك } (الركعة الثانية) { وليأخذوا حذرهم } (من عدوهم) { وأسلحتهم } (سلاحهم معهم) يعني : الذين صلوا أول مرة { ود الذين كفروا لو تغفلون عن

أسلحتكم وأمتعتكم } في صلاتكم { فيميلون عليكم ميلة واحدة } بالقتال { ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم } ترخيص لهم في ترك حمل السلاح في الصلاة وحمله فرض عند بعضهم وسنة مؤكدة عند بعضهم فرخص الله لهم في تركه لعذر المطر والمرض لأن السلاح يثقل على المريض ويفسد في المطر { وخذوا حذركم } أي : كونوا على حذر في الصلاة كيلا يتغفلكم العدو

فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (103)

فرغتم من صلاة الخوف { فاذكروا الله } { فإذا قضيتم الصلاة } بتوحيده وشكره في جميع أحوالكم { فإذا اطمأننتم } رجعتم إلى أهلكم وأقمتم { فأقيموا الصلاة } أتموها { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } مفروضا موقتا فرضه

ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (104)

أي : لا تضعفوا { في ابتغاء القوم } يعني : أبا سفيان { ولا تهنوا } ومن معه حين انصرفوا من أحد أمر الله تعالى نبيه أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيام فاشتكى أصحابه ما بهم من الجراحات فقال الله تعالى : { إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون } أي : إن ألمتم من جراحكم فهم أيضا في مثل حالتكم من ألم الجراح { وترجون من الله } من نصر الله إياكم وإظهار دينكم (في الدنيا) وثوابه في العقبى { ما لا يرجون } هم { وكان الله عليما } بخلقه { حكيما } فيما حكم

إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما (105)

هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق } طعمة بن أبيرق سرق درعا ثم رمى بها يهوديا فلما طلبت منه الدرع أحال على اليهودي ورماه بالسرقة فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل قوم طعمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجادل عن صاحبهم وأن يبريه وقالوا : إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا وبرئ اليهودي فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل فوله تعالى : { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق } في الحكم لا بالتعدي فيه { لتحكم بين الناس بما أراك الله } أي : فيما علمك الله { ولا تكن للخائنين } طعمة وقومه { خصيما } مخاصما عنهم

واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما (106)

من جدالك عن طعمة وهمك بقطع اليهودي { واستغفر الله }

ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما (107)

يخونونها بالمعصية لأن وبال { ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم } خيانتهم راجع عليهم يعني : طعمة وقومه { إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما } أي : طعمة لأنه خان في الدرع وأثم في رميه اليهودي

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (108)

يستترون بخيانتهم { من الناس ولا يستخفون من الله { يستخفون } وهو معهم } علم بما يخفون { إذ يبيتون } يهيئون ويقدرون ليلا { ما لا يرضي من القول } وهو أن طعمة قال : أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع وأحلف أني لم أسرق فيقبل يميني لأني على دينهم { وكان : الله بما يعملون محيطا } علاما ثم خاطب قوم طعمة فقال

ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا (109)

خاصمتم { عنهم } عن طعمة وذويه { في { ها أنتم هؤلاء جادلتم } الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة } أي : لا أحد يفعل ذلك ولا يكون في ذلك اليوم عليهم وكيل يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم : ثم عرض التوبة على طعمة وقومه بقوله

ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (110)

معصية كما عمل قوم طعمة { أو يظلم نفسه } { ومن يعمل سوءا } بذنب كفعل طعمة { ثم يستغفر الله } الآية ثم ذكر أن ضرر : المعصية إنما يلحق العاصي ولا يلحق الله من معصيته ضرر فقال

ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (111)

{ ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما } بالسارق { حكيما } حكم بالقطع على طعمة

ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (112)

ذنبا بينه وبين الله تعالى يعني : يمينه الكاذبة { ومن يكسب خطيئة } أنه ما سرق { أو إثما } ذنبا بينه وبين الناس يعني : سرقته { ثم يرم به } أي : بإثمه { بريئا } كما فعل طعمة حين رمى اليهودي بالسرقة { فقد احتمل بهتانا } برمي البرئ { وإثما مبينا } باليمين الكاذبة والسرقة

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (113)

بالنبوة والعصمة { لهمت } لقد { ولولا فضل الله عليك ورحمته } همت { طائفة منهم } من قوم طعمة { أن يضلوك } أي : يخطئوك في الحكم وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجادل عنهم ويقطع اليهودي { وما يضلون إلا أنفسهم } بتعاونهم على الإثم والعدوان وشهادتهم الزور والبهتان { وما يضرونك من شيء } لأن الضرر على من شهد بغير حق ثم من الله عليه فقال : { وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة } أي : القضاء بالوحي وبين لك ما فيه الحكمة فلما بان أن السارق طعمة تناجى قومه في شأنه فأنزل الله تعالى :

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (114)

أي : مسارتهم { إلا من أمر } أي : إلا { لا خير في كثير من نجواهم } في نجوى من أمر { بصدقة } وقال مجاهد : هذه الآية عامة للناس يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال البر ثم بين أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال : { ومن يفعل ذلك } الآية ثم حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب إلى مكة ولحق بالمشركين فمزل قوله :

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (115)

أي : يخالفه { من بعد ما تبين له الهدى } { ومن يشاقق الرسول } الإيمان بالله ورسوله وذلك أنه ظهر له من الآية ما فيه بلاغ بما أطلع الله سبحانه على أمره فعادى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الحجة وقيام الدليل { ويتبع غير سبيل المؤمنين } غير دين الموحدين { نوله ما تولى } ندعه وما اختار لنفسه { ونصله جهنم } ندخله إياها ونلزمه النار ثم أشرك بالله طعمة فكان يعبد صنما إلى أن مات فأنزل الله فيه :

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (116)

الآية ثم نزل في أهل مكة { إن الله لا يغفر أن يشرك به } :

إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (117)

أي : ما يعبدون من دون الله { إلا إناثا } أي : { إن يدعون من دونه } أصنامهم اللات والعزى ومناة { وإن يدعون إلا شيطانا مريدا } ما

يعبدون بعبادتهم لها إلا شيطانا خارجا عن طاعة الله تعالى يعني : إبليس لأنهم أطاعوه فيما سول لهم من عبادتها

لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (118)

دحره وأخرجه من الجنة { وقال } يعني إبليس : { لعنه الله } { لأتخذن من عبادك } بإغوائي وإضلالي { نصيبا مفروضا } معلوما أي : من اتبعه وأطاعه

ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (119)

عن الحق { ولأمنينهم } أن لا جنة ولا نار وقيل : ركوب { ولأضلنهم } الأهواء { ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام } أي : فليقطعنها يعني : البحائر وسيأتي بيان ذلك فيما بعد في سورة المائدة { ولآمرنهم فليغيرن خلق الله } أي : دينه يكفرون ويحرمون الحلال ويحلون الحرام { ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله } أي : (من) يطعه فيما يدعو إليه من الضلال { فقد خسر خسرانا مبينا } خسر الجنة ونعيمها

يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (120)

طول العمر في الدنيا { ويمنيهم } نيل المراد منها { وما { يعدهم } يعدهم الشيطان إلا غرورا } أي : إلا ما يغرهم من إيهام النفع فيما فيه ضرر

أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (121)

أي : الذين اتخذوا الشيطان وليا { مأواهم } مرجعهم { أولئك } ومصيرهم { جهنم ولا يجدون عنها محيصا } معدلا

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (122)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها } الآية { الأنهار

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (123)

نزلت في كفار قريش { ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب } واليهود قالت قريش : لا نبعث ولا نحاسب وقالت اليهود : { لن تمسنا النار إلا أياما معدودة } فنزلت هذه الآية أي : ليس الأمر بأماني اليهود والكفار { من يعمل سوءا } كفرا وشركا { يجز به ولا يجد له من دون الله وليا } يمنعه { ولا نصيرا } ينصره ثم بين فضيلة المؤمنين على غيرهم بقوله :

ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (124)

الآية وبقوله { ومن يعمل من الصالحات } :

ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا (125)

أي : توجه بعبادته إلى الله { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه } خاضعا له { وهو محسن } موحد { واتبع ملة إبراهيم حنيفا } ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد عليهما السلام فمن أقر بملة محمد فقد اتبع ملة إبراهيم عليه السلام { واتخذ الله إبراهيم خليلا } صفيا بالرسالة والنبوة محبا له خالص الحب

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا (126)

قال تعالى { ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا }

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (127)

يطلبون منك الفتوى { في النساء } في توريثهن { ويستفتونك } كانت العرب لا تورث النساء والصبيان شيئا من الميراث { قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم } أي : القرآن يفتيكم أيضا يعني : آية المواريث في أول هذه السورة { في } ميراث { يتامى النساء } لأنها في قصة أم كجة وكانت لها بنات { اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن } أي : فرض لهن من الميراث { وترغبون } عن { أن تنكحوهن } لدمامتهن قالت عائشة رضي الله عنها : نزلت في اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها فنهي عن ذلك { والمستضعفين من الولدان } أي : يفتيكم في الصغار من الغلمان

والجواري أن تعطوهن حقهن { وأن تقوموا } أي : وفي أن تقوموا { لليتامى بالقسط } أي : بالعدل في مهورهن ومواريثهن { وما تفعلوا من خير } من حسن فيما أمرتكم به { فإن الله كان به عليما } يجازيكم عليه

وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (128)

علمت { من بعلها } زوجها { نشوزا } ترفعا { وإن امرأة خافت } عليها لبغضها وهو أن يترك مجامعتها { أو إعراضا } بوجهه عنها { فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا } في القسمة والنفقة وهي أن ترضى هي بدون حقها أو تترك من مهرها شيئا ليسوي الزوج بينها وبين ضرتها في القسمة وهذا إذا رضيت بذلك لكراهة فراق زوجها ولا تجبر على هذا لأنها إن لم ترض بدون حقها كان الواجب على الزوج أن يوفيها حقها من النفقة والمبيت { والصلح خير } من النشوز والإعراض أي : إن يتصالحا على شيء خير من أن يقيما على النشوز والكراهة بينهما { وأحضرت الأنفس الشح } أي : شحت المرأة بنصيبها من زوجها وشح الرجل على المرأة بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه منها { وإن تحسنوا } العشرة والصحبة { وتتقوا } الجور والميل { فإن الله كان بما تعملون خبيرا } لا يضيع عنده شيء

ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (129)

لن تقدروا على { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم } التسوية بينهن في المحبة ولو اجتهدتم { فلا تميلوا كل الميل } إلى التي تحبون في النفقة والقسمة { فتذروها كالمعلقة } فتدعوا الأخرى كأنها معلقة لا أيما ولا ذات بعل { وإن تصلحوا } بالعدل في

القسم { وتتقوا } الجور { فإن الله كان غفورا رحيما } لما ملت إلى التي تحبها بقلبك ولما ذكر جواز الصلح بينهما إن أحبا أن يجتمعا ذكر بعده الافتراق فقال :

وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما (130)

أي : إن أبت المرأة الكبيرة الصلح وأبت إلا التسوية { وإن يتفرقا } بينها وبين الشابة فتفرقا بالطلاق فقد وعد الله لهما أن يغني كل واحد منهما عن صاحبه بعد الطلاق من فضله الواسع بقوله : { يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا } لجميع خلقه في الرزق والفضل { حكيما } فيما حكم ووعظ

ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (131)

قال تعالى { ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا }

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (132)

قال تعالى { ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا }

إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (133)

يعني : المشركين والمنافقين { ويأت { إن يشأ يذهبكم أيها الناس } بآخرين } أمثل وأطوع لله منكم

من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (134)

أي : متاعها { فعند الله ثواب الدنيا { من كان يريد ثواب الدنيا } والآخرة } أي : خير الدنيا والآخرة عنده فليطلب ذلك منه وهذا تعريض بالكفار الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث وكانوا يقولون : ربنا آتنا في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (135)

قائمين بالعدل { شهداء { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط } لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } أي : اشهدوا لله بالحق وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه أو أقربيه { إن يكن } المشهود عليه { غنيا أو فقيرا } فلا تحابوا غنيا لغناه ولا تحيفوا على الفقير لفقره { فالله أولى بهما } أي : أعلم بهما منكم لأنه يتولى علم أحوالهما { فلا تتبعوا الهوى } في الشهادة واتقوا { أن تعدلوا } أي : تميلوا وتجوروا { وإن تلووا } أي : تدافعوا الشهادة { أو تعرضوا } تجحدوها وتكتموها { فإن الله كان بما تعملون خبيرا } فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله

والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (136)

أي : اثبتوا على الإيمان { يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله } { والكتاب الذي نزل على رسوله } القرآن { والكتاب الذي أنزل من قبل } أي : كل كتاب أنزل على نبي قبل القرآن

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (137)

أي : اليهود آمنوا بالتوراة { ثم كفروا } بمخالفتها { إن الذين آمنوا } { ثم آمنوا } بالإنجيل { ثم كفروا } بمخالفته { ثم ازدادوا كفرا } بمحمد { لم يكن الله ليغفر لهم } ما أقاموا على ما هم عليه { ولا ليهديهم سبيلا } سبيل هدى ثم ألحق المنافقين بهم لأنهم كانوا يتولونهم فقال :

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (138)

{ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما }

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (139)

هذه الآية من { الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } صفة المنافقين وكانوا يوالون اليهود مخالفة للمسلمين يتوهمون أن لهم القوة والمنعة وهو معنى قوله : { أيبتغون عندهم العزة } أي : القوة بالظهور على محمد صلى الله عليه وسلم { فإن العزة } أي :

الغلبة والقوة { لله جميعا }

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (140)

أيها المؤمنون { في الكتاب } في القرآن { أن { وقد نزل عليكم } إذا سمعتم } الكفر بآيات الله والاستهزاء بها { فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث } غير الكفر والاستهزاء يعني : قوله في سورة الأنعام { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا } هذه كانت مما نزل عليهم في الكتاب وقوله : { إنكم إذا مثلهم } يعني : إن قعدتم معهم راضين بما يأتون من الكفر بالقرآن والاستهزاء به وذلك أن المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهى الله سبحانه المسلمين عن مجالستهم { إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا } يريد : أنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات يجتمعون في جهنم على العذاب

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (141)

يعني : المنافقين ينتظرون بكم الدوائر { الذين يتربصون بكم } { فإن كان لكم فتح من الله } ظهور على اليهود { قالوا ألم نكن معكم } فأعطونا من الغنيمة { وإن كان للكافرين نصيب } من الظفر على المسلمين { قالوا } لهم { ألم نستحوذ } نغلب { عليكم } نمنعكم عن الدخول في جملة المؤمنين { ونمنعكم من المؤمنين } بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم { فالله يحكم بينكم } يعني : بين المؤمنين والمنافقين { يوم القيامة } يعني : أنه أخر عقابهم إلى ذلك اليوم ورفع عنهم السيف (في الدنيا) { ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } أي : حجة يوم القيامة لأنه يفردهم بالنعيم وما يشاركونهم فيه من الكرامات بخلاف الدنيا

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (142)

أي : يعملون عمل المخادع بما { إن المنافقين يخادعون الله } يظهرونه ويبطنون خلافه { وهو خادعهم } مجازيهم جزاء خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا قليلا أطفىء نورهم وبقوا في الظلمة { وإذا قاموا إلى الصلاة } مع الناس { قاموا كسالى } متثاقلين { يراؤون الناس } ليرى ذلك الناس لا لاتباع أمر الله يعني : ليراهم الناس مصلين لا يريدون وجه الله { ولا يذكرون الله إلا قليلا } لأنهم يعملونه رياء وسمعة ولو أرادوا به وجه الله لكان كثيرا

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (143)

مرددين بين الكفر والإيمان ليسوا بمؤمنين { مذبذبين بين ذلك } مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك { لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } لا من الأنصار ولا من اليهود { ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا } من أضله الله فلن تجد له دينا

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (144)

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين } يعني : الأنصار يقول : لا توالوا اليهود من قريظة والنضير { أتريدون

أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا } حجة بينة في عقابكم بموالاتكم اليهود أي : إنكم إذا فعلتم ذلك صارت الحجة عليكم في العقاب

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (145)

أي : في أسفل درج { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } النار { ولن تجد لهم نصيرا } مانعا يمنعهم من عذاب الله

إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (146)

من النفاق { وأصلحوا } العمل { واعتصموا بالله { إلا الذين تابوا } } التجأوا إليه { وأخلصوا دينهم لله } من شائب الرياء { فأولئك مع المؤمنين } أي : هم أدنى منهم بعد هذا كله ثم أوقع أجر المؤمنين في التسويف لانضمامهم إليهم فقال : { وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما }

ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (147)

بعذاب خلقه { إن شكرتم } اعترفتم { ما يفعل الله بعذابكم } بإحسانه { وآمنتم } بنبيه { وكان الله شاكرا } للقليل من أعمالكم { عليما } بنياتكم

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (148)

نزلت ترخيصا للمظلوم أن { لا يحب الله الجهر بالسوء من القول } يجهر بشكوى الظالم وذلك أن ضيفا نزل بقوم فأساؤوا قراه فاشتكاهم فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكوا وقوله : { إلا من ظلم } لكن من ظلم فإنه يجهر بالسوء من القول وله ذلك { وكان الله سميعا } لقول المظلوم { عليما } بما يضمره أي : فليقل الحق ولا يتعد ما أذن له فيه

إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا (149)

من أعمال البر { أو تخفوه أو تعفوا عن سوء } { إن تبدوا خيرا } يأتيك من أخيك المسلم { فإن الله كان عفوا } لمن عفا { قديرا } على ثوابه

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (150)

هم اليهود كفروا بعيسى عليه { إن الذين يكفرون بالله ورسله } السلام والإنجيل ومحمد عليه السلام والقرآن { ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله } بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسل { ويقولون نؤمن ببعض } الرسل { ونكفر } ببعضهم { ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا } بين الإيمان بالبعض والكفر بالبعض دينا يدينون به

أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (151)

أي : إن إيمانهم ببعض الرسل لا يزيل { أولئك هم الكافرون حقا }

عنهم اسم الكفر ثم نزل في المؤمنين

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (152)

الآية { والذين آمنوا بالله ورسله }

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (153)

سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه { يسألك أهل الكتاب } وسلم أن يأتيهم بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله : { فقد سألوا موسى أكبر من ذلك } يعني : السبعين الذين ذكروا في قوله : { وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك } { ثم اتخذوا العجل } يعني : الذين خلفهم موسى مع هارون { من بعد ما جاءتهم البينات } العصا واليد وفلق البحر { فعفونا عن ذلك } لم نستأصل عبدة العجل { وآتينا موسى سلطانا مبينا } حجة بينة قوي بها على من ناوأه

ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (154)

حين امتنعوا من قبول شريعة التوراة { ورفعنا فوقهم الطور } { بميثاقهم } أي : بأخذ ميثاقهم { وقلنا لهم لا تعدوا في السبت } لا تعتدوا باقتناص السمك فيه { وأخذنا منهم ميثاقا غليظا } عهدا مؤكدا في النبي صلى الله عليه وسلم

فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (155)

أي : فبنقضهم و (ما) زائدة للتوكيد وقوله { فبما نقضهم ميثاقهم } { بل طبع الله عليها بكفرهم } أي : ختم الله على قلوبهم فلا تعي وعظا مجازاة لهم على كفرهم { فلا يؤمنون إلا قليلا } يعني : الذين آمنوا

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (156)

بالمسيح { وقولهم على مريم بهتانا عظيما } حين { وبكفرهم } رموها بالزنا

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (157)

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما } أي : ألقي لهم شبه عيسى على غيره حتى { صلبوه ولكن شبه لهم ظنوه لما رأوه أنه المسيح { وإن الذين اختلفوا فيه } أي : في قتله وذلك أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به كان الشبه ألقي على وجهه ولم يلق على جسده شبه جسد عيسى فلما قتلوه ونظروا إليه قالوا : الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فاختلفوا فقال بعضهم : هذا عيسى وقال بعضهم : ليس بعيسى وهذا معنى قوله : { لفي شك منه } أي : من قتله { ما لهم به } بعيسى { من علم } قتل أو لم يقتل { إلا اتباع الظن } لكنهم يتبعون الظن { وما قتلوه يقينا } وما

قتلوا المسيح على يقين من أنه المسيح

بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (158)

أي : إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سوى الله { بل رفعه الله إليه } فيه حكم وكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعا إليه لأنه رفع عن أن يجري عليه حكم أحد من العباد { وكان الله عزيزا } في اقتداره على نجاة من يشاء من عباده { حكيما } في تدبيره في النجاة

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (159)

أي : ما من أهل الكتاب أحد إلا { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به } ليؤمنن بعيسى { قبل موته } إذا عاين الملك ولا ينفعه حينئذ إيمانه ولا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى { ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } على أن قد بلغ الرسالة وأقر بالعبودية على نفسه

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (160)

عاقب الله اليهود إلى ظلمهم وبغيهم { فبظلم من الذين هادوا } بتحريم أشياء عليهم وهي ما ذكر في قوله : { وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر } ثم استثنى مؤمنيهم فقال :

وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (161)

قال تعالى { وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما }

لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (162)

يعني : المبالغين في علم الكتاب منهم كعبد الله { لكن الراسخون } بن سلام وأصحابه { والمؤمنون } من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم { يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما } ظاهر إلى قوله :

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (163)

قال تعالى { إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا }

ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (164)

قال تعالى { ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما }

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (165)

أي : بالثواب على الطاعة { ومنذرين } بالعقاب { رسلا مبشرين } على المعصية { لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل } فيقولوا : ما أرسلت إلينا رسولا يعلمنا دينك فبعثنا الرسل قطعا لعذرهم

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (166)

نزلت حين قالت اليهود - لما سئلوا عن نبؤة { لكن الله يشهد } محمد - ما نشهد له بذلك فقال الله تعالى : { لكن الله يشهد } أي : يبين نبوتك { بما أنزل إليك } من القرآن ودلائله { أنزله بعلمه } أي : وهو يعلم أنك أهل لإنزاله عليك لقيامك به { والملائكة يشهدون } لك بالنبوة إن جحدت اليهود وشهادة الملائكة إنما تعرف بقيام المعجزة فمن ظهرت معجزته شهدت الملائكة بصدقه { وكفى بالله شهيدا } أي : كفى الله شهيدا

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (167)

قال تعالى { إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا }

إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (168)

يعني اليهود { وظلموا } محمدا عليه السلام { إن الذين كفروا } بكتمان نعته { لم يكن الله ليغفر لهم } هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر { ولا ليهديهم طريقا } ولا ليرشدهم إلى دين الإسلام

إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (169)

يعني : طريق اليهودية وهو الطريق الذي يقودهم { إلا طريق جهنم } إلى جهنم { خالدين فيها أبدا وكان ذلك } أي : خلودهم { على الله يسيرا } لأنه لا يتعذر عليه شيء

يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (170)

يعني : المشركين { قد جاءكم الرسول بالحق } { يا أيها الناس } بالهدى والصدق { من ربكم فآمنوا خيرا لكم } أي : ايتوا خيرا لكم من الكفر بالإيمان به { وإن تكفروا } تكذبوا محمد وتكفروا نعمة الله عليكم به { فإن لله ما في السماوات والأرض } أي : لا تضرون إلا أنفسكم لأن الله غني عنكم { وكان الله عليما } بما تصيرون إليه من إيمان أو كفر { حكيما } في تكليفه مع علمه بما يكون منكم

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (171)

يريد : النصارى { لا تغلوا } لا تتجاوزوا الحد ولا { يا أهل الكتاب } تتشددوا { في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق } فليس له ولد ولا زوجة ولا شريك وقوله : { وكلمته ألقاها } يعني : أنه قال له : كن فيكون { وروح منه } أي : روح مخلوق من عنده { ولا تقولوا ثلاثة } أي : لا تقولوا : آلهتنا ثلاثة يعني قولهم : الله وصاحبته وابنه تعالى الله عن ذلك { انتهوا خيرا لكم } أي : ائتوا بالانتهاء عن هذا خيرا لكم مما أنتم عليه

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (172)

لن يأنف الذي تزعمون أنه إله { أن يكون { لن يستنكف المسيح } عبدا لله ولا الملائكة المقربون } من كرامة الله تعالى وهم أكثر من البشر

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (173)

قال تعالى { فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا }

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا (174)

يعني : النبي عليه السلام { يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم } { وأنزلنا إليكم نورا مبينا } وهو القرآن

فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما (175)

أي : امتنعوا بطاعته من زيغ { فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به } الشيطان { فسيدخلهم في رحمة منه } يعني : الجنة { وفضل } يتفضل عليهم بما لم يخطر على قلوبهم { ويهديهم إليه صراطا مستقيما } دينا مستقيما

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم (176)

فيمن مات ولا ولد له ولا { يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة } والد { إن امرؤ هلك ليس له ولد } أراد : ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما لأنه الكلالة { وله أخت } يعني : من أب وأم أو أب لأن ذكر ولد الأم قد مضى في أول السورة { فلها نصف ما ترك وهو يرثها } الأخ يرث الأخت جميع المال { إن لم يكن لها ولد فإن كانتا } أي : الأختان ({ فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء } من أب وأم أو من أب { فللذكر مثل حظ الأنثيين }) وقوله : { يبين الله لكم أن تضلوا } أي : أن لا تضلوا أو كراهة أن تضلوا ({ والله بكل شيء عليم } من قسمة المواريث)

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (1)

يعني : بالعهود المؤكدة التي { يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود }

عاهدتموها مع الله والناس ثم ابتدأ كلاما آخر فقال : { أحلت لكم بهيمة الأنعام } قيل : هي الأنعام نفسها وهي الإبل والبقر والغنم وقيل : بهيمة الأنعام : وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش { إلا ما يتلى عليكم } (أي : ما يقرأ عليكم في القرآن) يعني : قوله { حرمت عليكم الميتة } الآيه { غير محلي الصيد } يعني : إلا أن تحلوا الصيد في حال الإحرام فإنه لا يحل لكم { إن الله يحكم ما يريد } يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (2)

يعني : الهدايا المعلمة للذبح { يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله } بمكة نزلت هذه الآية في الحطم بن ضبيعة أغار على سرح المدينة فذهب به إلى اليمامة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا الحطم فدونكم وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة وأهداه إلى الكعبة فلما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى : { لا تحلوا شعائر الله } يريد : ما أشعر لله أي : أعلم { ولا الشهر الحرام } بالقتال فيه { ولا الهدي } وهي كل ما أهدي إلى بيت الله من ناقة وبقرة وشاة { ولا القلائد } يعني : الهدايا المقلدة من لحاء شجر الحرم { ولا آمين البيت الحرام } قاصديه من المشركين قال المفسرون : كانت الحروب في الجاهلية قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم فمن وجد في غيرها أصيب منه إلا أن يكون مشعرا بدنه أو سائقا هدايا أو مقلدا نفسه أو بعيره من لحاء شجر الحرم أو محرما فلا يتعرض لهؤلاء فأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإقرار هذه الأمنة على ما كانت لضرب من المصلحة إلى أن نسخها بقوله تعالى : { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } وقوله : { يبتغون فضلا من ربهم } أي : ربحا بالتجارة { ورضوانا } بالحج على زعمهم { وإذا حللتم } من الإحرام { فاصطادوا } أمر إباحة { ولا يجرمنكم

} ولا يحملنكم { شنآن قوم } بغض قوم يعني : أهل مكة { أن صدوكم عن المسجد الحرام } يعني : عام الحديبية { أن تعتدوا } على حجاج اليمامة فتستحلوا منهم محرما { وتعاونوا } ليعن بعضكم بعضا { على البر } وهو ما أمرت به { والتقوى } ترك ما نهيت عنه { ولا تعاونوا على الإثم } يعني : معاصي الله { والعدوان } التعدي في حدوده ثم حذرهم فقال : { واتقوا الله } فلا تستحلوا محرما { إن الله شديد العقاب } إذا عاقب

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (3)

سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة إلى { حرمت عليكم الميتة } قوله : { والمنخنقة } وهي التي تختنق فتموت بأس وجه كان { والموقوذة } المقتولة ضربا { والمتردية } التي تقع من أعلى إلى أسفل فتموت { والنطيحة } التي قتلت نطحا { وما أكل } منه { السبع } فالباقي منه حرام ثم استثنى ما يدرك ذكاته من جميع هذه المحرمات فقال : { إلا ما ذكيتم } أي : إلا ما ذبحتم { وما ذبح على النصب } أي : على اسم الأصنام فهو حرام { وأن تستقسموا بالأزلام } تطلبوا على ما قسم لكم من الخير والشر من الأزلام : القداح التي كان أهل الجاهلية يجيلونها إذا أرادوا أمرا { ذلكم } أي : الاستقسام من الأزلام { فسق } خروج عن الحلال إلى الحرام { اليوم } يعني : يوم عرفة عام حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح { يئس الذين كفروا } أن ترتدوا راجعين إلى دينهم { فلا تخشوهم } في مظاهرة محمد واتباع دينه { واخشون } في عبادة الأوثان { اليوم } يعني : يوم عرفة { أكملت لكم دينكم } أحكام دينكم فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام { وأتممت عليكم نعمتي } يعني : بدخول مكة آمنين كما وعدتكم { فمن اضطر } إلى ما حرم مما ذكر في هذه الآية { في مخمصة } مجاعة { غير

متجانف لإثم } غير متعرض لمعصية وهو أن يأكل فوق الشبع أو يكون عاصيا بسفره { فإن الله غفور } له ما أكل مما حرم عليه { رحيم } بأوليائه حيث رخص لهم

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب (4)

سأل عدي بن حاتم رسول الله صلى الله { يسألونك ماذا أحل لهم } عليه وسلم فقال : إنا نصيد بالكلاب والبزاة وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت هذه الآية { قل أحل لكم الطيبات } يعني : ما تستطيبه العرب وهذا هو الأصل في التحليل فكل حيوان استطابه العرب كالضباب واليرابيع والأرانب فهو حلال وما استخبثه العرب فهو حرام { وما علمتم } يعني : وصيد ما علمتم { من الجوارح } وهي الكواسب من الطير والكلاب والسباع { مكلبين } معلمين إياها الصيد { تعلمونهن مما علمكم الله } تؤدبوهن لطلب الصيد { فكلوا مما أمسكن عليكم } هذه الجوارح وإن قتلن إذا لم يأكلن منه فإذا أكلن فالظاهر أنه حرام { واذكروا اسم الله عليه } عند إرسال الجوارح

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (5)

التي سألتم عنها { وطعام الذين أوتوا { اليوم أحل لكم الطيبات } الكتاب } وهو اسم لجميع ما يؤكل { حل لكم وطعامكم حل لهم } أي : حل لكم أن تطعموهم { والمحصنات } العفائف { من المؤمنات والمحصنات } الحرائر { من الذين أوتوا الكتاب } من

أهل الكتاب { إذا آتيتموهن أجورهن } يعني : مهورهن { محصنين } متزوجين { غير مسافحين } معالنين بالزنا { ولا متخذي أخدان } مسرين بالزنا بهن { ومن يكفر بالإيمان } بالله الذي يجب الإيمان به { فقد حبط عمله } إذا مات على ذلك { وهو في الآخرة من الخاسرين } ممن خسر الثواب

يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (6)

أي : إذا أردتم القيام إليها { يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة } { فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق } يعني : مع المرفقين { وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين } وهما الناشزان من جانبي القدم { وإن كنتم جنبا فاطهروا } فاغتسلوا { وإن كنتم مرضى } مفسر في سورة النساء إلى قوله : { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج } من ضيق في الدين ولكن جعله واسعا بالرخصة في التيمم { ولكن يريد ليطهركم } من الأحداث والجنابات والذنوب لأن الوضوء يكفر الذنوب { وليتم نعمته عليكم } ببيان الشرائع و { لعلكم تشكرون } نعمتي فتطيعوا أمري

واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (7)

بلإسلام { وميثاقه الذي واثقكم به } { واذكروا نعمة الله عليكم } يعني : حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما أمر ونهى وهو قوله : { إذ قلتم } حين قلتم { سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور } بخفيات

القلوب

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (8)

تقومون لله بكل حق يلزمكم { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله } القيام به { شهداء بالقسط } تشهدون بالعدل { ولا يجرمنكم شنآن قوم } لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل { اعدلوا } في الولي والعدو { هو } أي : العدل { أقرب للتقوى } أي : لاتقاء النار

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (9)

قال تعالى { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم }

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (10)

قال تعالى { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم }

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (11)

الآية يعني : ما أنعم الله { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم } على نبيه حين أتى اليهود هو وجماعة من أصحابه يستعينون بهم في

دية فتآمروا بينهم أن يطرحوا عليهم رحى فأعلمهم الله بذلك على لسان جبرائيل حتى خرجوا ثم أخبر عن نقض بني إسرائيل عهد الله كما نقضت هذه الطبقة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله حين هموا بالاغتيال به فقال :

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (12)

على أن يعلموا بما في التوراة { ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل } { وبعثنا } وأقمنا بذلك { منهم اثني عشر نقيبا } كفيلا وضمينا ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد { وقال الله } لهم : { إني معكم } بالعون والنصرة { لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم } أي : وقرتموهم { وأقرضتم الله قرضا حسنا } يريد : الصدقات للفقراء والمساكين { فمن كفر بعد ذلك } أي : بعد هذا العهد والميثاق { فقد ضل سواء السبيل } أخطأ قصد الطريق

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (13)

فبنقضهم { ميثاقهم } وهو أنهم كذبوا الرسل بعد { فبما نقضهم } موسى فقتلوا الأنبياء وضيعوا كتاب الله { لعناهم } أخرجناهم من رحمتنا { وجعلنا قلوبهم قاسية } يابسة عن الإيمان { يحرفون الكلم } يغيرون كلام الله { عن مواضعه } من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وآية الرجم { ونسوا حظا مما ذكروا به } وتركوا نصيبا مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد { ولا تزال } يا محمد { تطلع على خائنة } خيانة { منهم } مثل ما خانوك حين هموا بقتلك

{ إلا قليلا منهم } يعني : من أسلم { فاعف عنهم واصفح } منسوخ بآية السيف { إن الله يحب المحسنين } المتجاوزين

ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (14)

كما أخذنا ميثاق اليهود { ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم } { فنسوا حظا مما ذكروا به } فتركوا ما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم { فأغرينا بينهم } فألقينا بين اليهود والنصارى { العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون } وعيد لهم ثم دعاهم إلى الإيمان بمحمد عليه السلام فقال :

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (15)

يعني : اليهود والنصارى { قد جاءكم رسولنا } { يا أهل الكتاب } محمد { يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب } تكتمون مما في التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفة محمد عليه السلام { ويعفو عن كثير } يتجاوز عن كثير فلا يخبركم بكتمانه { قد جاءكم من الله نور } يعني : النبي { وكتاب مبين } القرآن فيه بيان لكل ما تختلفون فيه

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (16)

يعني : بالكتاب المبين { من اتبع رضوانه } اتبع ما { يهدي به الله }

رضيه الله من تصديق محمد عليه السلام { سبل السلام } طرق السلامة التي من سلكها سلم في دينه { ويخرجهم من الظلمات } الكفر { إلى النور } الإيمان { بإذنه } بتوفسقه وإرادته { ويهديهم إلى صراط مستقيم } وهو الإسلام

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (17)

يعني : الذين { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم } اتخذوه إلها { قل فمن يملك من الله شيئا } فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئا { إن أراد أن يهلك المسيح } أي : يعذبه ولو كان إلها لقدر على دفع ذلك

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (18)

أما اليهود فإنهم { وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } قالوا : إن الله من حنته وعطفه علينا كالأب الشفيق وأما النصارى فإنهم تأولو قول عيسى : إذا صليتم فقولا : يا أبانا الذي في السماء تقدس اسمه وأراد أنه في بره ورحمته بعباده الصالحين كالأب الرحيم وقيل : أرادوا نحن أبناء رسل الله وإنما قالوا هذا حين حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم عقوبة الله فقال الله : { قل فلم يعذبكم بذنوبكم } أي : فلم عذب من قبلكم بذنوبهم كأصحاب السبت وغيرهم { بل أنتم بشر ممن خلق } كسائر بني آدم { يغفر لمن يشاء } لمن تاب من اليهودية { ويعذب من يشاء } من مات عليها : وقوله

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (19)

على انقطاع من الأنبياء { أن تقولوا } لئلا { على فترة من الرسل } تقولوا { ما جاءنا من بشير ولا نذير } وقوله :

وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (20)

أي : جعل لكم الخدم والحشم وهم أول من ملك { وجعلكم ملوكا } الخدم والحشم من بني آدم { وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين } من فلق البحر لكم وإغراق عدوكم والمن والسلوى وغير ذلك

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (21)

المطهرة يعني : الشام وذلك أنها { يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة } طهرت من الشرك وجعلت مسكنا للأنبياء { التي كتب الله لكم } أمركم الله بدخولها { ولا ترتدوا على أدباركم } لا ترجعوا إلى دينكم الشرك بالله

قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (22)

طوالا ذوي قوة وكانوا من { قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين }

بقايا عاد يقال لهم العمالقة

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (23)

وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا { من الذين { قال رجلان } يخافون } الله في مخالفة أمره { أنعم الله عليهما } بالفضل واليقين : { ادخلوا عليهم الباب } الآية وإنما قالا ذلك تيقنا بنصر الله وإنجاز وعده لنبيه فخالفوا نبيهم وعصوا أمر الله وأتوا من القول بما فسقوا به وهو قوله :

قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون (24)

قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك { فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } فقال موسى عند ذلك :

قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (25)

يقول : لم يطعني منهم إلا نفسي وأخي { لا أملك إلا نفسي وأخي } { فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } فاقض بيننا وبين القوم العاصين فحرم الله على الذين عصوا دخول القرية وحبسهم في التيه أربعين سنة حتى ماتوا ولم يدخلها أحد من هؤلاء وإنما دخلها أولادهم وهو قوله :

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على

القوم الفاسقين (26)

الآية وقوله : { يتيهون في الأرض } يتحيرون { فإنها محرمة عليهم } فلا يهتدون للخروج منها { فلا تأس على القوم الفاسقين } لا تحزن على عذابهم

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (27)

يعني : على قومك { نبأ } خبر { ابني آدم } هابيل { واتل عليهم } وقابيل { إذ قربا قربانا } تقرب إلى الله هابيل بخير كبش في غنمه فنزلت من السماء نار فاحتملته فهو الكبش الذي فدي به إسماعيل وتقرب إلى الله قابيل بأردأ ما كان عنده من القمح وكان صاحب زرع فلم تحمل النار قربانه والقربان : اسم لكل ما يتقرب به إلى الله فقال الذي لم يتقبل منه : { لأقتلنك } حسدا له فقال هابيل : { إنما يتقبل الله من المتقين } للمعاصي (لا من العاصين)

لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28)

لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك { لئن بسطت إلي يدك } بالقتل { إني أخاف الله } في قتلك

إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (29)

أن تحمل إثم قتلي وإثم الذي كان { إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك }

منك قبل قتلي

فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30)

سهلته وزينت له ذلك { فقتله فأصبح { فطوعت له نفسه قتل أخيه } من الخاسرين } خسر دنياه بإسخاط والديه وآخرته بسخط الله عليه فلما قتله لم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله في جراب على ظهره

فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (31)

يثير التراب من الأرض على { فبعث الله غرابا يبحث في الأرض } غراب ميت { ليريه كيف يواري } يستر { سوآة } جيفة { أخيه } فلما رأى ذلك قال : { يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوآة أخي فأصبح من النادمين } على حمله والتطوف به

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (32)

من سبب ذلك الذي فعل قابيل { كتبنا } فرضنا { من أجل ذلك } { على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس } بغير قود { أو فساد } شرك { في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا } يقتل كما لو قتلهم جميعا ويصلى النار كما يصلاها لو قتلهم { ومن أحياها } حرمها وتورع عن قتلها { فكأنما أحيا الناس جميعا } لسلامتهم منه لأنه لا

يستحل دماءهم { ولقد جاءتهم } يعني : بني إسرائيل { رسلنا بالبينات } بأن لهم صدق ما جاؤوهم به { ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون } أي : مجاوزون حد الحق

إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (33)

أي : يعصونهما ولا { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله } يطيعونهما يعني : الخارجين على الإمام وعلى الأمة بالسيف نزلت هذه الآية في قصة العرنيين وهي معروفة تعليما لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة من فعل مثل فعلهم وقوله : { ويسعون في الأرض فسادا } بالقتل وأخذ الأموال { أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض } معنى أو ها هنا الإباحة فللإمام أن يفعل ما أراد من هذه الأشياء ومعنى النفي من الأرض الحبس في السجن لأن المجون بمنزلة المخرج من الدني { ذلك لهم خزي } هوان وفضيحة { في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم } وهذا للكفار الذين نزلت فيهم الآية لأن العرنيين ارتدوا عن الدين والمسلم إذا عوقب في الدنيا بجنايته صارت مكفرة عنه

إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (34)

آمنوا من قبل أن { إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم } تعاقبوهم فالله غفور رحيم لهم هذا في المشرك المحارب إذا آمن قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود فأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه سقط عنه حدود الله ولا تسقط حقوق بني آدم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون (35)

عقاب { الله } بالطاعة { وابتغوا إليه { يا أيها الذين آمنوا اتقوا } الوسيلة } تقربوا إليه بطاعته { وجاهدوا } العدو { في سبيله } في طاعته { لعلكم تفلحون } كي تسعدوا وتبقوا في الجنة

إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (36)

الآية ظاهرة { إن الذين كفروا }

يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (37)

يتمنون بقلوبهم { أن يخرجوا من النار } { يريدون }

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (38)

يمين هذا ويمين هذه فجمع { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما } { جزاء بما كسبا } أي : بجزاء فعلهما { نكالا } عقوبة { من الله والله عزيز } في انتقامه { حكيم } فيما أوجب من القطع

فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور

رحيم (39)

الناس { وأصلح } العمل بعد السرقة { فمن تاب من بعد ظلمه } { فإن الله يتوب عليه } يعود عليه بالرحمة

ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (40)

على { ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء } الذنب الصغير { ويغفر لمن يشاء } الذنب العظيم

يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (41)

إذ كنت { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } موعود النصر عليهم وهم المنافقون وبان لهم ذلك بقوله : { من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون } أي : فريق سماعون { للكذب } يسمعون منك ليكذبوا عليك فيقولون : سمعنا منه كذا وكذا لما لم يسمعوا { سماعون لقوم آخرين لم يأتوك } أي : هم عيون لأولئك الغيب ينقلون إليهم أخبارك { يحرفون الكلم من بعد مواضعه } من بعد أن وضعه الله مواضعه يعني : آية الرجم { يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه } يعني : يهود خيبر بالجلد وهم الذين ذكروا في قوله : { لقوم آخرين لم يأتوك } وذلك أنهم بعثوا إلى قريظة ليستفتوا محمدا صلى الله عليه وسلم في الزانيين المحصنيين وقالوا لهم : إن أفتى بالجلد فاقبلوا

وإن أفتى بالرجم فلا تقبلوا فذلك قوله : { إن أوتيتم هذا } يعني : الجلد { فخذوه } فاقبلوه { وإن لم تؤتوه فاحذروا } أن تعملوا به { ومن يرد الله فتنته } ضلالته وكفره { فلن تملك له من الله شيئا } لن تدفع عنه عذاب الله { أولئك الذين } أي : من أراد الله فتنته فهم الذين { لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } أن يخلص نياتهم { لهم في الدنيا خزي } بهتك ستورهم { ولهم في الآخرة عذاب عظيم } وهو النار

سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (42)

وهو الرشوة في الحكم يعني : { سماعون للكذب أكالون للسحت } حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يأتيهم مبطلا ويأخذون الرشوة منه فيأكلونها { فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم } خير الله نبيه في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه ثم نسخ ذلك بقوله : { وأن احكم بينهم } الآية

وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (43)

عجب الله نبيه عليه السلام من تحكيم اليهود إياه { وكيف يحكمونك } بعد علمهم بما في التوراة من حكم الزاني وحده وقوله : { فيها حكم الله } يعني : الرجم { ثم يتولون من بعد ذلك } التحكيم فلا يقبلون حكمك بالرجم { وما أولئك } الذين يعرضون عن الرجم { بالمؤمنين }

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه

شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (44)

بيان الحكم الذي جاؤوك يستفتوك فيه { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى } { ونور } بيان أن أمرك حق { يحكم بها النبيون } من لدن موسى إلى عيسى وهم { الذين أسلموا } أي : انقادوا لحكم التوراة { للذين هادوا } تابوا من الكفر وهم بنو إسرائيل إلى زمن عيسى { والربانيون } العلماء { والأحبار } الفقهاء { بما استحفظوا } استرعوا أي : بما كلفوا حفظه من كتاب الله وقيل : العمل بما فيه وذلك حفظه { من كتاب الله وكانوا عليه شهداء } أنه من عند الله ثم خاطب اليهود فقال : { فلا تخشوا الناس } في إظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والرجم { واخشون } في كتمان ذلك { ولا تشتروا بآياتي } بأحكامي وفرائضي { ثمنا قليلا } يريد : متاع الدنيا { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } نزلت في من غير حكم الله من اليهود وليس في أهل الإسلام منها ومن اللتين بعدها شيء

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (45)

وفرضنا عليهم في التوراة { أن النفس } تقتل { وكتبنا عليهم فيها } { بالنفس والعين بالعين } الآية كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في جميع الأعضاء والأطراف إذا تماثلا في السلامة وقوله : { والجروح قصاص } في كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والأنثيين والأليتين والقدمين واليدين وهذا تعميم بعد التفصيل بقوله : { والعين بالعين والأنف بالأنف } { فمن تصدق به فهو كفارة له } من عفا وترك القصاص فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (46)

أي : جعلناه يقفو آثار النبيين يعني : { وقفينا على آثارهم بعيسى } بعثناه بعدهم على آثارهم { مصدقا لما بين يديه من التوراة } يصدق أحكامها ويدعو إليها { وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة } معناه : وهاديا وواعظا

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (47)

أي : وقلنا لهم : ليحكموا بهذا الكتاب في { وليحكم أهل الإنجيل } ذلك الوقت

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (48)

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا } أي : شاهدا وأمينا وحفيظا ورقيبا على الكتب التي قبله فما { عليه أخبر أهل الكتاب بأمر فإن كان في القرآن فصقوا وإلا فكذبوا { فاحكم بينهم } بين اليهود { بما أنزل الله } بالقرآن والرجم { ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق } يقول : لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم { لكل جعلنا منكم } من أمة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين { شرعة ومنهاجا } سبيلا وسنة فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة { ولو شاء الله

لجعلكم أمة واحدة } على أمر واحد ملة الإسلام { ولكن ليبلوكم } ليختبركم { في ما آتاكم } أعطاكم من الكتاب والسنن { فاستبقوا الخيرات } سارعوا إلى الأعمال الصالحة (الزاكية) { إلى الله مرجعكم جميعا } أنتم وأهل الكتاب { فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون } من الدين والفرائض والسنن يعني : إن الأمر سيؤول إلى ما يزول معه الشكوك بما يحصل من اليقين

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (49)

أي : يستزلوك { واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك } عن الحق إلى أهوائهم نزلت حين قال رؤساء اليهود بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه فنرده عما هو عليه فأتوه وقالوا له : قد علمت أنا إن اتبعناك اتبعك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصومنا إذا تحاكمنا إليك ونحن نؤمن بك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية : { فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم } (أي : فإن أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن فاعلم أن ذلك من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم) ويجازيهم في الآخرة بجميعها ثم كان تعذيبهم في الدنيا الجلاء والنفي { وإن كثيرا من الناس لفاسقون } يعني : اليهود

أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (50)

أي : أيطلب اليهود في الزانيين حكما لم { أفحكم الجاهلية يبغون } يأمر الله به وهم أهل كتاب كما فعل أهل الجاهلية ؟ ! { ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون } أي : من أيقن تبين عدل الله في حكمه : ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود وأوعد عليها بقوله

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (51)

الآية { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء }

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (52)

يعني : عبد الله بن أبي وأصحابه { { فترى الذين في قلوبهم مرض } يسارعون فيهم } في مودة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم { يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة } أي : يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها يعنون : الجدب فتنقطع عنا الميرة والقرض { فعسى الله أن يأتي بالفتح } يعني : لمحمد على جميع من خالفه { أو أمر من عنده } بقتل المنافقين وهتك سترهم { فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم } يعني : أهل النفاق على ما أضمروا من ولاية اليهود ودس الأخبار إليهم { نادمين }

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (53)

المؤمنون إذا هتك الله ستر المنافقين : { ويقول الذين آمنوا } { أهؤلاء } يعنون : المنافقين { الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم } حلفوا بأغلظ الأيمان { إنهم لمعكم } إنهم مؤمنون وأعوانكم على من خالفكم { حبطت أعمالهم } بطل كل خير عملوه بكفرهم { فأصبحوا خاسرين } صاروا إلى النار وورث المؤمنون منازلهم من الجنة

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (54)

علم الله تعالى أن قوما { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه } يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبرهم تعالى أنه س { يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه } وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة { أذلة على المؤمنين } كالولد لوالده والعبد لسيده { أعزة على الكافرين } غلاظ عليهم كالسبع على فريسته { يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم } كالمنافقين الذين كانوا يرقبون الكافرين ويخافون لومهم في نصرة الدين { ذلك فضل الله } أي : محبتهم لله عز وجل ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكفار بفضل من الله عليهم

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (55)

نزلت لما هجر اليهود من أسلم منهم { إنما وليكم الله ورسوله } فقال عبد الله بن سلام : يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا ألا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقال : رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وقوله : { وهم راكعون } يعني : صلاة التطوع

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (56)

يتولى القيام بطاعته ونصرة رسوله { ومن يتول الله ورسوله } والمؤمنين { فإن حزب الله } جند الله وأنصار دينه { هم الغالبون }

غلبوا اليهود فأجلوهم من ديارهم وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (57)

الآيه نزلت في رجال كانوا يوادون { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا } منافقي اليهود ومعنى قوله : { اتخذوا دينكم هزوا ولعبا } إظهارهم ذلك باللسان واستبطانهم الكفر تلاعبا واستهزاء { والكفار } يعني : مشركي العرب وكفار مكة { واتقوا الله } فلا تتخذوا منهم أولياء { إن كنتم مؤمنين } بوعده ووعيده

وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (58)

دعوتم الناس بالأذان { اتخذوها هزوا ولعبا { وإذا ناديتم إلى الصلاة } } تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لأهلها { ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } مالهم في إجابتها لو أجابوا إليها وما عليهم في استهزائهم بها

قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (59)

الآيه (أي : هل تنكرون { قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا } وتكرهون) [أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال : أؤمن بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما

أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون] فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا : ما نعلم دينا شرا من دينكم فأنزل الله تعالى : { هل تنقمون } أي : هل تكرهون وتنكرون منا إلا إيمانا وفسقكم أي : إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق لأنكم قد فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال وتقدير قوله : { وأن أكثركم فاسقون } ولأن أكثركم والواو زائدة والمعنى : لفسقكم نقمتم علينا الإيمان : وقوله

قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (60)

أخبركم جواب لقول اليهود : ما نعرف أهل دين { قل هل أنبئكم } شرا منكم فقال الله : { هل أنبئكم } أخبركم { بشر من } ذلكم المسلمون الذين طعنتم عليهم { مثوبة } جزاء وثوابا { عند الله من لعنه الله } أي : هو من لعنه الله : أبعده عن رحمته { وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير } يعني : أصحاب السبت { وعبد الطاغوت } نسق على { لعنة الله } وعبد الطاغوت أطاع الشيطان فيما سوله له { أولئك شر مكانا } لأن مكانهم سقر { وأضل عن سواء السبيل } قصد الطريق وهو دين الحنيفية فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا : يا إخوان القردة والخنازير فسكتوا وافتضحوا

وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (61)

يعني : منافقي اليهود { وقد دخلوا بالكفر { وإذا جاؤوكم قالوا آمنا } وهم قد خرجوا به } أي : دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتي حالهم

وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (62)

يجترئون على { وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان } الخطأ والظلم ويبادرون إليه { وأكلهم السحت } ما كانوا يأخذونه من الرشا على كتمان الحق ثم ذم فعلهم بقوله : { لبئس ما كانوا يعملون }

لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (63)

هلا { ينهاهم } عن قبح فعلهم { الربانيون والأحبار } { لولا } علماؤهم وفقهاؤهم { لبئس ما كانوا يصنعون } حين تركوا النكير عليهم

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (64)

مقبوضة عن العطاء وإسباغ النعم { وقالت اليهود يد الله مغلولة } علينا قالوا هذا حين كف الله تعالى عنهم بكفرهم بمحمد عليه السلام ما كان يسلط عليهم من الخصب والنعمة فقالوا - لعنهم الله على جهة الوصف بالبخل - : { يد الله مغلولة } وقوله : { غلت أيديهم } أي : جعلوا بخلاء وألزموا البخل فهم أبخل قوم { ولعنوا بما قالوا } عذبوا في الدنيا بالجزية (والذلة والصغار والقحط والجلاء) وفي

الآخرة بالنار { بل يداه مبسوطتان } قيل : معناه : الوصف بالمبالغة في الجود والإنعام وقيل معناه : نعمه مبسوطة ودلت التثنية على الكثرة كقولهم : (لبيك وسعديك) وقيل : معمتاه : أي : نعمة الدنيا ونعمة الآخرة { مبسوطتان ينفق كيف يشاء } يرزق كما يريد إن شاء قتر وإن شاء وسع { وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا } كلما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا به فيزيد كفرهم { وألقينا بينهم العداوة والبغضاء } بين طوائف اليهود وجعلهم الله مختلفين متباغضين كما قال { تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى } { كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله } كلما أرادوا محاربتك ردهم الله وألزمهم الخوف { ويسعون في الأرض فسادا } يعني : يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من كتبهم

ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (65)

بمحمد صلى الله عليه وسلم { واتقوا } { ولو أن أهل الكتاب آمنوا } اليهودية والنصرانية { لكفرنا عنهم سيئاتهم } كل ما صنعوا قبل أن تأتيهم

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (66)

عملوا بما فيهما من التصديق بك { ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل } { وما أنزل إليهم } من كتب أنبيائهم { لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض كلما أرادوا { منهم أمة مقتصدة } مؤمنة

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (67)

أي : لا تراقبن أحدا ولا { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } تتركن شيئا مما أنزل إليك تخوفا من أن ينالك مكروه بلغ الجميع مجاهرا به { وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } إن كتمت آية مما أنزلت إليك لم تبلغ رسالتي يعني : إنه إن ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلغ { والله يعصمك من الناس } أن ينالوك بسوء قال المفسرون : كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفار وكان لا يجاهرهم بعيب دينهم وسب آلهتهم فأنزل الله تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } فقال : يارب كيف أصنع وأنا واحد أخاف أن يجتمعوا علي ؟ فأنزل الله تعالى : { وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين } لا يرشد من كذبك

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (68)

من الدين { حتى تقيموا } { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء } حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وباقي الآية مضى تفسيره إلى قوله : { فلا تأس على القوم الكافرين } يقول : لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (69)

سبق تفسيره في سورة البقرة { إن الذين آمنوا والذين هادوا }

لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (70)

قال تعالى { لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون }

وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (71)

ظنوا وقدروا ألا تقع بهم عقوبة وعذاب { وحسبوا أن لا تكون فتنة } في الإصرار على الكفر بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل { فعموا وصموا } عن الهدى فلم يعقلوه { ثم تاب الله عليهم } بإرسال محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الصراط المستقيم { ثم عموا وصموا كثير منهم } بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه السلام { والله بصير بما يعملون } من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (72)

قال تعالى { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار }

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (73)

أي : ثالث ثلاثة من الآلهة { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } والمعنى : أنهم قالوا : الله واحد ثلاثة آلهة : هو والمسيح ومريم فزعموا أن الإلهية مشتركة بين هؤلاء الثلاثة فكفروا بذلك

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (74)

أي : إنه { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } رسول ليس بآلهة كما أن من قبله كانوا رسلا { وأمه صديقة } صدقت بكلمات ربها وكتبه { كانا يأكلان الطعام } يريد : هما لحم ودم يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان وهذه ليست من أوصاف الإلهية { انظر كيف نبين لهم الآيات } نفسر لهم أمر ربوبيتي { ثم انظر أنى يؤفكون } يصرفون عن الحق الذي يؤدي إليه تدبر الآيات

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (75)

قال تعالى { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون }

قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (76)

للنصارى : { أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا { قل } نفعا } يعني : المسيح لأنه لا يملك ذلك إلا الله عز وجل { والله هو

السميع } لكفركم { العليم } بضميركم

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (77)

يعني : اليهود والنصارى { لا تغلوا في دينكم } { قل يا أهل الكتاب } لا تخرجوا عن الحد في عيسى وغلو اليهود فيه بتكذيبهم إياه ونسبته إلى أنه لغير رشدة وغلوا النصارى فيه ادعاؤهم الإلهية له وقوله : { غير الحق } أي : مخالفين للحق { ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل } يعني : رؤساهم الذين مضوا من الفريقين أي : لا تتبعوا أسلافكم فيما ابتدعوه بأهوائهم { وضلوا عن سواء السبيل } عن قصد الطريق بإضلالهم الكثير

لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (78)

يعني : أصحاب السبت { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل } وأصحاب المائدة { على لسان داود } لأنهم لما اعتدوا قال داود عليه السلام : اللهم العنهم واجعلهم آية لخلقك فمسخوا قردة على لسان داود { وعيسى ابن مريم } عليه السلام لأنه لعن من لم يؤمن من أصحاب المائدة فقال : اللهم العنهم كما لعنت السبت فمسخوا خنازير

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (79)

لا ينتهون { عن منكر فعلوه } { كانوا لا يتناهون }

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون (80)

من اليهود { يتولون الذين كفروا } كفار مكة { ترى كثيرا منهم } { لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم } بئسما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة سخط الله عليهم

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (81)

قال تعالى { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون }

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (82)

يا محمد { أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود } وذلك { لتجدن } أنهم ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدا للنبي عليه السلام { ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى } يعني : النجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع النصارى { ذلك } يعني : قرب المودة { بأن منهم قسيسين ورهبانا } أي : علماء بوصاة عيسى بالإيمان بمحمد عليه السلام { وأنهم لا يستكبرون } عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وعبدة الأوثان

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (83)

يعني : النجاشي وأصحابه قرأ { وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول } عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة (كهعيص) فما زالوا يبكون وهو قوله : { ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق } يريد : الذي نزل على محمد وهو الحق { يقولون ربنا آمنا } وصدقنا { فاكتبنا مع الشاهدين } مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (84)

أي : أي شيء لنا إذا تركنا الإيمان بالله { وما { وما لنا لا نؤمن بالله } جاءنا من الحق } أي : القرآن { و } نحن { نطمع أن يدخلنا ربنا } الحنة مع أمة محمد عليه السلام يعنون : أنهم لا شيء لهم إذا لم يؤمنوا بالقرآن ولا يتحقق طمعهم في دخول الجنة

فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (85)

يعني : بما سألوا الله من قولهم : { فاكتبنا { فأثابهم الله بما قالوا } مع الشاهدين } وقولهم : { ونطمع أن يدخلنا ربنا } الآية { جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك } أي : الثواب { جزاء المحسنين } الموحدين ثم ذكر الوعيد لمن كفر من أهل الكتاب : وغيرهم فقال

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (86)

{ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم }

يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (87)

هم قوم من { يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم } أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تعاهدوا أن يحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل ويخصوا أنفسهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وسمى الخصاء اعتداء فلما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله إنا كنا قد حلفنا على ذلك فنزلت :

وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (88)

قال تعالى { وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون }

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (89)

وفسرنا هذا في سورة البقرة { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم } { ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان } وهو أن يقصد الأمر فيحلف بالله ويعقد عليه اليمين بالقلب متعمدا { فكفارته } إذا حنثتم { إطعام عشرة مساكين } لكل مسكين مد وهو رطل وثلث وهو قوله : { من أوسط ما تطعمون أهليكم } لأن هذا القدر وسط في

الشبع وقيل : من خير ما تطعمون أهليكم كالحنطة والتمر { أو كسوتهم } وهو أقل ما يقع عليه اسم الكسوة من إزار ورداء وقميص { أو تحرير رقبة } يعني : مؤمنة والمكفر في اليمين مخير بين هذه الثلاث { فمن لم يجد } يعني : لم يفضل من قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم عشرة مساكين { ف } عليه { صيام ثلاثة أيام } { واحفظوا أيمانكم } فلا تحلفوا واحفظوها عن الحنث

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (90)

يعني : الأشربة التي تخمر حتى { يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر } تشتد وتسكر { والميسر } القمار بجميع أنواعه { والأنصاب } الأوثان { والأزلام } قداح الاستقسام التي ذكرت في أول السورة { رجس } قذر قبيح { من عمل الشيطان } مما يسوله الشيطان لبني آدم { فاجتنبوه } كونوا جانبا منه

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (91)

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر } وذلك لما يحصل بين أهلها من العداوة والمقابح والإقدام { والميسر على ما يمنع منه العقل { ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة } لأن من اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله والصلاة { فهل أنتم منتهون } : (استفهام بمعنى الأمر) قالوا : انتهينا ثم أمر بالطاعة فقال

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (92)

المحارم والمناهي { فإن { وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا } توليتم } عن الطاعة { فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين } فليس عليه إلا البلاغ فإن أطعتم وإلا استحققتم العقاب فلما نزل تحريم الخمر قالوا : يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربونها ويأكلون الميسر ؟ فنزل :

ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (93)

من { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا } الخمر والميسر قبل التحريم { إذا ما اتقوا } المعاصي والشرك { ثم اتقوا } داموا على تقواهم { ثم اتقوا } ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (94)

كان هذا عام { يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد } الحديبية كانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم كثيرة وهم محرمون ابتلاء من الله تعالى { تناله أيديكم } يعني : الفراخ والصغار { ورماحكم } يعني : الكبار { ليعلم الله } ليرى الله { من يخافه بالغيب } أي : من يخاف الله ولم يره { فمن اعتدى } ظلم بأخذ الصيد { بعد ذلك } بعد النهي { فله عذاب أليم }

يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله

عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (95)

حرم الله الصيد على { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم } المحرم فليس له أن يتعرض للصيد بوجه من الوجوه ما دام محرما { ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم } أي : فعليه جزاء مماثل للمقتول من النعم في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش بقرة وفي الضبع كبش على هذا التقدير { يحكم به ذوا عدل } يحكم في الصيد رجلان صالحان { منكم } من أهل ملتكم فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به { هديا بالغ الكعبة } أي : مثل ذلك { صياما } والمحرم إذا قتل صيدا كان مخيرا إن شاء جزاه بمثله من النعم وإن شاء قوم المثل دراهم ثم الدراهم طعاما ثم يتصدق به وإن شاء صام عن كل مد يوما { ليذوق وبال أمره } جزاء ما صنع { عفا الله عما سلف } قبل التحريم { ومن عاد فينتقم الله منه } من عاد إلى قتل الصيد محرما حكم عليه ثانيا وهو بصدد الوعيد { والله عزيز } منيع { ذو انتقام } من أهل معصيته

أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (96)

ما أصيب من داخله وهذا الإحلال عام لكل { أحل لكم صيد البحر } أحد محرما كان أو محلا { وطعامه } وهو ما نضب عنه الماء ولم يصد { متاعا لكم وللسيارة } منفعة للمقيم والمسافر يبيعون ويزودون منه ثم أعاد تحريم الصيد في حال الإحرام فقال : { وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون } خافوا الله الذي إليه تبعثون

جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (97)

يعني : البيت الذي حرم أن يصاد { جعل الله الكعبة البيت الحرام } عنده ويختلى للحج وقضاء النسك { والشهر الحرام } يعني : الأشهر الحرم فذكر بلفظ الجنس { والهدي والقلائد } ذكرناه في أول السورة وهذه الجملة ذكرت بعد ذكر البيت لأنها من أسباب الحج فذكرت معه { ذلك } أي : ذلك الذي أنبأتكم به في هذه السورة من أخبار الأنبياء وأحوال المنافقين واليهود وغير ذلك { لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات } الآية أي : يدلكم ذلك على أن لا يخفي عليه شيء

اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (98)

قال تعالى { اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم }

ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (99)

قال تعالى { ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون }

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون (100)

أي : الحرام والحلال { ولو أعجبك { قل لا يستوي الخبيث والطيب } كثرة الخبيث } وذلك عن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا

يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا

عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (101)

نزلت { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم } حين سئل النبي حتى أحفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا وقال : لا تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلا أخبرتكموه فقام رجل من بني سهم يطعن في نسيه فقال : من أبي ؟ فقال : أبوك حذافة وقام آخر فقال : أين أنا ؟ فقال : في النار فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهاهم أن يسألوه عما يحزنهم جوابه وإبداؤه كسؤال من سأل عن موضعه فقال : في النار { وإن تسألوا عنها } أي عن أشياء { حين ينزل القرآن } فيها { تبد لكم } يعني : ما ينزل فيه القرآن من فرض أو نهي أو حكم ومست الحاجة إلى بيانه فإذا سألتم عنها حينئذ تبدى لكم { عفا الله عنها } أي : عن مسألتكم مما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم ولا حاجة بكم إلى بيانه نهاهم أن يعودوا إلى مثل ذلك وأخبر أنه عفا عما فعلوا { والله غفور حليم } لا يعجل بالعقوبة ثم أخبرهم عن حال من تكلف سؤال ما لم يكلفوا فقال :

قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (102)

أي : الآيات { قوم من قبلكم } الآية يعني : قوم عيسى { قد سألها } سألوا المائدة ثم كفروا بها وقوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (103)

أي : ما أوجبها ولا أمر بها والبحيرة : الناقة { ما جعل الله من بحيرة } إذا نتجت خمسة أبطن شقوا أذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها { ولا سائبة } هو ما كانوا يسيبونه لآلهتهم في نذر يلزمهم إن شفي مريض أو قضيت لهم حاجة { ولا وصيلة } كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا :

وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم { ولا حام } إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره فلم يركب ولم ينتفع وسيب لأصنامهم فلا يحمل عليه { ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب } يتقولون على الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام وهم جعلوها محرمة لا الله { وأكثرهم } يعني : أتباع رؤسائهم الذين سنوا لهم تحريم هذه الأنعام { لا يعقلون } أن ذلك كذب وافتراء على الله من الرؤساء

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (104)

في القرآن من تحليل ما { وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله } حرمتم { قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا } من الدين { أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون } مفسرة في سورة البقرة

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (105)

احفظوها من ملابسة المعاصي { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم } والإصرار على الذنوب { لا يضركم من ضل } من أهل الكتاب { إذا اهتديتم } أنتم { إلى الله مرجعكم جميعا } مصيركم ومصير من خالفكم { فينبئكم بما كنتم تعملون } يجازيكم بأعمالكم

يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين (106)

نزلت هذه الآية في قصة تميم { يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم } وعدي وبديل خرجوا تجارا إلى الشام فمرض بديل ودفع إليهما متاعه وأوصى إليهما أن يدفعاه إلى أهله إذا رجعا فأخذا من متاعه إناء من فضة وردا الباقي إلى أهله فعلموا بخيانتهما ورفعوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية : ليشهدكم { إذا حضر أحدكم الموت } وأردتم الوصية { اثنان ذوا عدل منكم } من أهل ملتكم تشهدونهما على الوصية { أو آخران من غيركم } من غير دينكم إذا { ضربتم } سافرتم { في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت } علم الله أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين ويحضره الموت فلا يجد من يشهده على وصيته من المسلمين فقال : { أو آخران من غيركم } فالذميان في السفر (خاصة) إذا لم يوجد غيرهما (تقبل شهادتهما في ذلك) وقوله : { تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا } أي : ارتبتم في شهادتهما وشككتم وخشيتم أن يكونا قد خانا حبستموهما على اليمين بعد صلاة العصر فيحلفان بالله ويقولان في يمينهما : لا نبيع الله بعرض من الدنيا ولا نحابي أحدا في شهادتنا { ولو كان ذا قربى } ولو كان المشهود له ذا قربى { ولا نكتم شهادة الله } أي : الشهادة التي أمر الله بإقامتها { إنا إذا لمن الأثمين } إن كتمناها ولما رفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما وذلك أنهما كانا نصرانيين وبديل كان مسلما فحلفا أنهما ما قبضا غير ما دفعا إلى الورثة ولا كتما شيئا وخلى سبيلهما ثم اطلع على الإناء في أيديهما فقالا : اشتريناه منه فارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله :

فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين (107)

أي : ظهر واطلع { على أنهما استحقا إثما } أي : { فإن عثر } استوجباه بالخيانة والحنث في اليمين { فآخران يقومان مقامهما }

من الورثة وهم الذين { استحق عليهم } أي : استحق عليهم الوصية أو الإيصاء وذلك أن الوصية تستحق على الورثة { الأوليان } بالميت أي : الأقربان إليه والمعنى : قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت فيحلفان بالله : لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما وهو قوله : { فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما } أي : يميننا أحق من يمينهما { وما اعتدينا } فيما قلنا فلما نزلت هذه الآية قام اثنان من ورثة الميت فحلفا بالله أنهما خانا وكذبا فدفع الإناء إلى أولياء الميت

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين (108)

أي : ما حكم به في هذه القصة وبينة من رد اليمين { أدنى } { ذلك } إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت { أو يخافوا } أي : أقرب إلى أن يخافوا { أن ترد أيمان } على أولياء الميت بعد أيمان الأوصياء فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا { واتقوا الله } أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة { واسمعوا } الموعظة { والله لا يهدي القوم الفاسقين } لايرشد من كان على معصيته

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (109)

أي : اذكروا ذلك اليوم { فيقول } لهم : { يوم يجمع الله الرسل } { ماذا أجبتم } ما أجابكم قومكم في التوحيد ؟ { قالوا لا علم لنا } من هول ذلك اليوم يذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم فيشهدون لمن صدقهم وعلى من كذبهم

إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب

والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (110)

مضى تفسير الآية إلى قوله : { إذ قال الله يا عيسى ابن مريم } { وإذ كففت بني إسرائيل عنك } أي : عن قتلك

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (111)

أي : ألهمتهم { وإذ أوحيت إلى الحواريين }

إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (112)

لم يشكوا { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك } في قدرته ولكن معناه : هل يقبل ربك دعاءك وهل يسهل لك إنزال مائدة علينا من السماء علما لك ودلالة على صدقك ؟ فقال عيسى : { اتقوا الله } أن تسألوه شيئا لم تسأله الأمم من قبلكم

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (113)

أي : نريد السؤال من أجل هذا { قالوا : نريد أن نأكل منها } { وتطمئن قلوبنا } نزداد يقينا بصدقك { ونكون عليها من الشاهدين } لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقوله

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (114)

أي : نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا { تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا } نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا { وآية منك } دلالة على توحيدك وصدق نبيك { وارزقنا } عليها طعاما نأكله وقوله :

قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (115)

أي : بعد إنزال المائدة { فإني أعذبه عذابا لا { فمن يكفر بعد منكم } أعذبه أحدا من العالمين } أراد : جنسا من العذاب لا يعذب به غيرهم من علمي زمانهم

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (116)

واذكر يا محمد حين يقول الله { وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم } تعالى يوم القيامة : { أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله } هذا استفهام معناه التوبيخ لمن ادعى ذلك على المسيح ليكذبهم المسيح فتقوم عليهم الحجة { قال سبحانك } أي : براءتك من السوء { تعلم ما في نفسي } أي : ما في سري وما أضمره { ولا أعلم ما في نفسك } أي : ما تخفيه أنت وما عندك علمه ولم تطلعنا عليه وقوله :

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (117)

أي : كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت { وكنت عليهم شهيدا } مقيما فيهم { فلما توفيتني } يعني : رفعتني إلى السماء { كنت أنت الرقيب } الحفيظ { عليهم وأنت على كل شيء شهيد } أي : شهدت مقالتي فيهم وبعد ما رفعتني شهدت ما يقولون من بعدي

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (118)

أي : من كفر بك { فإنهم عبادك } وأنت العادل فيهم { إن تعذبهم } { وإن تغفر لهم } أي : من تاب منهم وآمن فأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (119)

يعني : يوم القيامة { ينفع الصادقين } في الدنيا { قال الله هذا يوم } { صدقهم } لأنه يوم الإثابة والجزاء { رضي الله عنهم } بطاعته { ورضوا عنه } بثوابه { ذلك الفوز العظيم } لأنهم فازوا بالجنة

لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (120)

عظم نفسه عما قالت النصارى : إن { لله ملك السماوات والأرض } معه إلها

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (1)

{ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور } وخلق الليل والنهار { ثم الذين كفروا } بعد قيام الدليل على وحدانيته بما ذكر من خلقه { بربهم يعدلون } الحجارة والأصنام فيعبدونها معه 0

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (2)

يعني : آدم أبا البشر { ثم قضى أجلا } { هو الذي خلقكم من طين } يعني : أجل الحياة إلى الموت { وأجل مسمى عنده } من الممات إلى البعث { ثم أنتم } أيها المشركون بعد هذا { تمترون } تشكون وتكذبون بالبعث يريد إن الذي ابتدأ الخلق قادر على إعادته

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (3)

أي : المعبود المعظم المتفرد بالتدبير { في السماوات { وهو الله } وفي الأرض }

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (4)

الدالة على وحدانيته كما ذكر من { وما تأتيهم من آية من آيات ربهم } خلق آدم وخلق الليل والنهار { إلا كانوا عنها معرضين } تاركين التفكر فيها

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون (5)

يعني : مشركي أهل مكة { بالحق لما جاءهم } يعني : { فقد كذبوا } القرآن { فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون } أي : أخبار استهزائهم وجزاؤه

ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (6)

يعني : هؤلاء الكفار { كم أهلكنا من قبلهم من قرن } { ألم يروا } من جيل وأمة { مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم } أعطيناهم من المال والعبيد والأنعام ما لم نعطكم { وأرسلنا السماء } المطر { عليهم مدرارا } كثير الدر وهو إقباله ونزوله بكثرة { فأهلكناهم بذنوبهم } بكفرهم { وأنشأنا } أوجدنا { من بعدهم قرنا آخرين } وهذا احتجاج على منكري البعث

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (7)

قال مشركو مكة : لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب { ولو نزلنا عليك }

من السماء جملة واحدة معاينة فقال الله : { ولو نزلنا عليك كتابا } أي : مكتوبا { في قرطاس } يعني : الصحيفة { فلمسوه بأيديهم } فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم { لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين } أخبر الله تعالى أنهم يدفعون الدليل حتى لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا : سحر

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (8)

طلبوا ملكا يرونه يشهد له بالرسالة { وقالوا : لولا أنزل عليه ملك } فقال الله عز وجل : { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر } لأهلكوا بعذاب الاستئصال كسنة من قبلهم ممن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا { ثم لا ينظرون } لا يمهلون لتوبة ولا لغير ذلك

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (9)

أي : ولو جعلنا الرسول الذي ينزل عليهم { ولو جعلناه ملكا } ليشهدوا له بالرسالة ملكا كما يطلبون { لجعلناه رجلا } لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة ولذلك كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي { وللبسنا عليهم ما يلبسون } ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي أي : فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان ثم عزى الله نبيه عليه السلام بقوله :

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون (10)

وكذبوا ونسبوا إلى السحر { فحاق { ولقد استهزئ برسل من قبلك } } فحل ونزل { بالذين سخروا } من الرسل { ما كانوا به يستهزئون } من العذاب وينكرون وقوعه

قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (11)

لهم يا محمد : { سيروا في الأرض } سافروا في الأرض { قل } { ثم انظروا } فاعتبروا { كيف كان عاقبة } مكذبي الرسل يعني : إذا سافروا رأوا آثار الأمم الخالية المهلكة يحذرهم مثل ما وقع بهم

قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (12)

فإن أجابوك وإلا { قل لله { قل لمن ما في السماوات والأرض } كتب على نفسه الرحمة } أوجب على نفسه الرحمة وهذا تلطف في الاستدعاء إلى الإنابة { ليجمعنكم } أي : والله ليجمعنكم { إلى يوم القيامة } أي : ليضمنكم إلى هذا اليوم الذي أنكرتموه وليجمعن بينكم وبينه ثم ابتدأ فقال : { الذين خسروا أنفسهم } أهلكوها بالشرك { فهم لا يؤمنون }

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (13)

أي : ما حل فيهما واشتملا عليه { وله ما سكن في الليل والنهار } يعني : جميع المخلوقات

قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم

قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (14)

خالقهما ابتداء { قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض } { وهو يطعم ولا يطعم } يرزق ولا يرزق

قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (15)

{ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم }

من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (16)

أي : العذاب { يومئذ } يوم القيامة { فقد رحمه { من يصرف عنه } } فقد أوجب الله له الرحمة لا محالة

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير (17)

أي : إن جعل الضر وهو المرض والفقر { وإن يمسسك الله بضر } يمسك

وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (18)

القادر الذي لا يعجزه شيء { فوق عباده } أي : إن { وهو القاهر } قهره قد استعلى عليهم فهم تحت التسخير

قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون (19)

قال أهل مكة للنبي صلى الله عليه { قل أي شيء أكبر شهادة } وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب ينكرونك فنزلت هذه الآية أمر الله تعالى محمدا عليه السلام أن يسألهم ثم أمر أن يخبرهم فيقول : { الله شهيد بيني وبينكم } أي : الله الذي اعترفتم بأنه خالق السماوات والأرض والظلمات والنور يشهد لي بالنبوة بإقامة البراهين وإنزال القرآن علي { وأوحي إلي هذا القرآن } المعجز بلفظه ونظمه وأخباره عما كان ويكون { لأنذركم } لأخوفكم { به } عقاب الله على الكفر { ومن بلغ } يعني : ومن بلغه القرآن من بعدكم فكل من بلغه القرآن فكأنما رأى محمد عليه السلام قل { أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى } استفهام معناه الجحد والإنكار { قل لا أشهد } الآيه

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (20)

مفسرة في سورة البقرة { الذين آتيناهم الكتاب }

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون (21)

أي : لا أحد أظلم ممن { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا } اختلق على الله كذبا يعني : الذين ذكرهم في قوله : { وإذا فعلوا فاحشة } الآيه { أو كذب بآياته } بالقرآن وبمحمد عليه السلام { إنه

لا يفلح الظالمون } لا يسعد من جحد ربوبية ربه وكذب رسله وهم الذين ظلموا أنفسهم بإهلاكها بالعذاب

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (22)

واذكر يوم { نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين { ويوم } شركاؤكم } أصنامكم وآلهتكم { الذين كنتم تزعمون } أنها تشفع لكم وهذا سؤال توبيخ

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (23)

أي : لم تكن عاقبة افتتانهم بالأوثان وحبهم لها { ثم لم تكن فتنتهم } { إلا أن } تبرؤوا منها فـ { قالوا والله ربنا ما كنا مشركين }

انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (24)

يا محمد { كيف كذبوا على أنفسهم } بجحد شركهم في { انظر } الآخرة { وضل } وكيف ضل ذلك : زال وبطل { عنهم ما كانوا يفترون } بعبادته من الأصنام

ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (25)

ومن الكفار { من يستمع إليك } إذا قرأت القرآن { ومنهم }

{ وجعلنا على قلوبهم أكنة } أغطية { أن يفقهوه } لئلا يفهموه ولا يعلموا الحق { وفي آذانهم وقرا } ثقلا وصمما فلا يعون منه شيئا ولا ينتفعون به { وإن يروا كل آية } علامة تدل على صدقك { لا يؤمنوا بها } هذا حالهم في البعد عن الإيمان { حتى إذا جاؤوك يجادلونك } مخاصمين معك في الدين { يقول الذين كفروا } من كفر منهم : { إن هذا } ما هذا { إلا أساطير الأولين } أحاديث الأمم المتقدمة التي كانوا يسطرونها في كتبهم

وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون (26)

الناس عن اتباع محمد { وينأون } ويتباعدون { عنه { وهم ينهون } } فلا يؤمنون به { وإن } وما { يهلكون إلا أنفسهم } بتماديهم في معصية الله تعالى { وما يشعرون } وما يعلمون ذلك

ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (27)

يا محمد { إذ وقفوا على النار } أي : حبسوا على { ولو ترى } الصراط فوق النار { فقالوا يا ليتنا نرد } تمنوا أن يردوا إلى الدنيا فيؤمنوا وهو قوله : { ولا نكذب } أي : ونحن لا نكذب { بآيات ربنا } بعد المعاينة { ونكون من المؤمنين } ضمنوا أن لا يكذبوا ويؤمنوا : فقال الله تعالى

بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (28)

ليس الأمر على ما تمنوا في الرد { بدا لهم ما كانوا يخفون { بل }

من قبل } وهو أنهم أنكروا شركهم فأنطق الله سبحانه جوارحهم حتى شهدت عليهم بالكفر والمعنى : ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت أستارهم { ولو ردوا لعادوا لما نهوا } إلى ما نهوا { عنه } من الشرك للقضاء السابق فيهم بذلك وأنهم خلقوا للشقاوة { وإنهم لكاذبون } في قولهم : { ولا نكذب بآيات ربنا }

وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (29)

يعني : الكفار { إن هي إلا حياتنا الدنيا } أنكروا البعث { وقالوا }

ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (30)

عرفوا ربهم ضرورة وقيل : وقفوا { ولو ترى إذ وقفوا على ربهم } على مسألة ربهم وتوبيخه إياهم ويؤكد هذا قوله : { أليس هذا بالحق } أي : هذا البعث فيقرون حين لا ينفعهم ذلك ويقولون : { بلى وربنا } فيقول الله تعالى : { فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون } بكفركم

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون (31)

بالبعث والمصير إلى الله { حتى { قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله } إذا جاءتهم الساعة بغتة } فجأة { قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها } قصرنا وضيعنا عمل الآخرة في الدنيا { وهم يحملون أوزارهم } أثقالهم وآثامهم { على ظهورهم } وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره استقبله عمله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول : أنا عملك السيىء طال ما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم { ألا ساء ما

يزرون } بئس الحمل ما حملوا

وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (32)

لأنها تفنى وتنقضي كاللهو واللعب { وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو } تكون لذة فانية عن قريب { وللدار الآخرة } الجنة { خير للذين يتقون } الشرك { أفلا تعقلون } أنها كذلك فلا تفتروا في العمل لها : ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيب قريش إياه فقال

قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (33)

في العلانية : إنك كذاب ومفتر { قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون } { فإنهم لا يكذبونك } في السر قد علموا صدقك { ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون } بالقرآن بعد المعرفة نزلت في المعاندين الذين تركوا الانقياد للحق كما قال عز وجل : { وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم } افلآيه

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (34)

رجاء ثوابي { ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا } { وأوذوا } حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار { حتى أتاهم نصرنا } معونتنا إياهم بإهلاك من كذبهم { ولا مبدل لكلمات الله } لا ناقض لحكمه وقد حكم بنصر الأنبياء في قوله : { كتب الله لأغلبن أنا ورسلي } { ولقد جاءك من نبإ المرسلين } أي : خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ودمرنا قومهم

وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (35)

عظم وثقل { عليك إعراضهم } عن الإيمان بك { وإن كان كبر } وبالقرآن وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على إيمان قومه فكانوا إذا سألوه آية أحب أن يريهم ذلك طمعا في إيمانهم فقال الله عز وجل : { فإن استطعت أن تبتغي } تطلب { نفقا } سربا { في الأرض أو سلما } مصعدا { في السماء فتأتيهم بآية } فافعل ذلك والمعنى : أنك بشر لا تقدر على الإتيان بالآيات فلا سبيل لك إلا الصبر حتى يحكم الله { ولو شاء الله لجمعهم على الهدى } أي : إنما تركوا الإيمان لسابق قضائي فيهم لو شئت لاجتمعوا على الإيمان { فلا تكونن من الجاهلين } بأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وأنهم لا يجتمعون على الهدى وغلظ الجواب زجرا لهم عن هذه الحال

إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (36)

أي : يجيبك إلى الإيمان { الذين يسمعون } وهم { إنما يستجيب } المؤمنون الذين يستمعون الذكر فيقبلونه وينتفعون به والكافر الذي ختم الله على سمعه كيف يصغي إلى الحق ؟ { والموتى } يعني : كفار مكة { يبعثهم الله ثم إليه يرجعون } يردون فيجازيهم بأعمالهم

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (37)

يعني : رؤساء قريش { لولا } هلا { نزل عليه آية من ربه { وقالوا }

} يعنون : نزول ملك يشهد له بالنبوة { قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون } ما عليهم في ذلك من البلاء وهو ما ذكرنا في قوله : { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر }

وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (38)

يعني : جميع { وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه } الحيوانات لأنها لا تخلوا من هاتين الحالتين { إلا أمم أمثالكم } أصناف مصنفة تعرف بأسمائها فكل جنس من البهائم أمة كالطير والظباء والذباب والأسود وكل صنف من الحيوان أمة مثل بني آدم يعرفون بالإنس { ما فرطنا في الكتاب من شيء } ما تركنا في الكتاب من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه إما نصا وإما دلالة وإما مجملا وإما مفصلا كقوله : { ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء } أي : لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين { ثم إلى ربهم } أي : هذه الأمم { يحشرون } للحساب والجزاء

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (39)

بما جاء به محمد عليه السلام { صم } عن { والذين كذبوا بآياتنا } القرآن لا يسمعونه سماع انتفاع { وبكم } عن القرآن لا ينطقون به ثم أخبر أنهم بمشيئته صاروا كذلك فقال : { من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم }

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (40)

يا محمد لهؤلاء المشركين بالله { أرأيتكم } معناه : أخبروني { قل } { إن أتاكم عذاب الله } يريد : الموت { أو أتتكم الساعة } القيامة { أغير الله تدعون } أي : أتدعون هذه الأصنام والأحجار التي عبدتموها من دون الله { إن كنتم صادقين } جواب لقوله : { أرأيتكم } لأنه بمعنى أخبروني كأنه قيل : إن كنتم صادقين أخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون (41)

أي : لا تدعون غيره { إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه } { بل } أي : يكشف الضر الذي من أجله دعوتموه { إن شاء وتنسون } وتتركون { ما تشركون } به من الأصنام فلا تدعونه

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (42)

رسلا فكفروا بهم { فأخذناهم { ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك } بالبأساء } وهو شدة الفقر { والضراء } الأوجاع والأمراض { لعلهم يتضرعون } لكي يتذللوا ويتخشعوا

فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (43)

فهلا { إذ جاءهم بأسنا } عذابنا { تضرعوا } تذللوا والمعنى { فلولا } : لم يتضرعوا { ولكن قست قلوبهم } فأقاموا على كفرهم { وزين لهم الشيطان } الضلالة التي هم عليها فأصروا

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (44)

تركوا ما وعظوا به { فتحنا عليهم أبواب { فلما نسوا ما ذكروا به } كل شيء } من النعمة والسرور بعد الضر الذي كانوا فيه { حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم } في حال فرحهم ليكون أشد لتحسرهم { بغتة فإذا هم مبلسون } آيسون من كل خير

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (45)

أنفسهم أي : غابرهم الذي يتخلف { فقطع دابر القوم الذين ظلموا } في آخر القوم والمعنى : استؤصلوا بالهلاك فلم يبق منهم باقية { والحمد لله رب العالمين } على نصر الرسل وإهلاك الظالمين

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (46)

أي : أصمكم وأعمالكم { قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم } { وختم على قلوبكم } حتى لا تعرفوا شيئا يعني : أذهب هذه الأعضاء عنكم أصلا { من إله غير الله يأتيكم به } أي : بما أخذ عنكم { انظر كيف نصرف } نبين لهم في القرآن { الآيات ثم هم يصدفون } يعرضون عما ظهر لهم

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (47)

ليلا أو نهارا { هل { قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة } يهلك إلا القوم الظالمون } الذين جعلوا لله شركاء

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (48)

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا } { خوف عليهم ولا هم يحزنون

والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (49)

{ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون }

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (50)

التي منها يرزق ويعطي { ولا { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله } أعلم الغيب } فأخبركم بعاقبة ما تصيرون إليه { ولا أقول لكم إني ملك } أشاهد من أمر الله ما لا يشاهده البشر { إن أتبع إلا ما يوحى إلي } أي : ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي { قل هل يستوي الأعمى والبصير } الكافر والمؤمن { أفلا تتفكرون } أنهما لا يستويان

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (51)

خوف بالقرآن { الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم } { وأنذر به } يريد : المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من أهوال { ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع } يعني : إن الشفاعة إنما تكون بإذنه ولا شفيع ولا ناصر لأحد في القيامة إلا بإذن الله { لعلهم يتقون } كي يخافوا في الآخرة وينتهوا عما نهيتهم

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (52)

نزلت في فقراء المؤمنين لما قال { ولا تطرد الذين يدعون ربهم } رؤساء الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم : نح هؤلاء عنك لنجالسك ونؤمن بك ومعنى : { يدعون ربهم بالغداة والعشي } يعبدون الله بالصلوات المكتوبة { يريدون وجهه } يطلبون ثواب الله { ما عليك من حسابهم } من رزقهم { من شيء } فتملهم وتطردهم { وما من حسابك عليهم من شيء } أي : ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك وإنما يرزقك وإياهم الله الرزاق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم { فتكون من الظالمين } لهم بطردهم

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين (53)

ابتلينا الغني بالفقير والشريف بالوضيع { وكذلك فتنا بعضهم ببعض } { ليقولوا } يعني : الرؤساء { أهؤلاء } الفقراء والضعفاء { من الله عليهم من بيننا } أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصوا بنعمة فقال الله تعالى : { أليس الله بأعلم بالشاكرين } أي : إنما يهدي إلى دينه من يعلم أنه يشكر

وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (54)

يعني : الصحابة وهؤلاء الفقراء { وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا } { فقل سلام عليكم } سلم عليهم بتحية المسلمين { كتب ربكم على نفسه الرحمة } أوجب الله لكم الرحمة إيجابا مؤكدا { أنه من عمل منكم سوءا بجهالة } يريد : إن ذنوبكم جهل ليس بكفر ولا جحود لأن العاصي جاهل بمقدار العذاب في معصيته { ثم تاب من بعده } رجع عن ذنبه { وأصلح } عمله { فأنه غفور رحيم }

وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين (55)

وكما بينا لك في هذه السورة دلائلنا على المشركين { وكذلك } { نفصل } نبين لك حجتنا وأدلتنا ليظهر الحق ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين في شركهم بالله في الدنيا وما يصيرون إليه من الخزي يوم القيامة بإخباري إياك

قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين (56)

الأصنام التي { قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله } يعبدونها من دون الله { قل لا أتبع أهواءكم } أي : إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البرهان فلا أتبعكم على هواكم { قد ضللت إذا } إن أنا فعلت ذلك { وما أنا من المهتدين } الذين سلكوا سبيل الهدى

قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (57)

يقين وأمر بين { من ربي } لا متبع لهوى { قل إني على بينة } { وكذبتم به } أي : بربي { ما عندي ما تستعجلون به } يعني : العذاب أو الآيات التي اقترحتموها ثم أعلم أن ذلك عنده فقال : { إن الحكم إلا لله يقص الحق } أي : يقول القصص الحق ومن قرأ : { يقص الحق } فمعناه : يقضي القضاء الحق { وهو خير الفاصلين } الذين يفصلون بين الحق والباطل

قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين (58)

من العذاب لعجلت لكم { قل لو أن عندي ما تستعجلون به } ولانفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة وهو معنى قوله : { لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين } هو أعلم بوقت عقوبتهم فهو يؤخرهم إلى وقته وأنا لا أعلم ذلك قوله :

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (59)

خزاءن ما غاب عن بني آدم من الرزق { وعنده مفاتح الغيب } ولامطر ونزول العذاب والثواب والعقاب { لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر } القفار { والبحر } كل قرية فيها ماء لا يحدث فيهما شيء إلا بعلم الله { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } ساقطة وقبل أن سقطت { ولا حبة في ظلمات الأرض } في الثرى تحت الأرض { ولا رطب } وهو ما ينبت { ولا يابس } وهو ما لا ينبت { إلا في كتاب مبين } أثبت الله ذلك كله في كتاب قبل أن يخلق الخلق

وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (60)

يقبض أرواحكم في منامكم { ويعلم ما { وهو الذي يتوفاكم بالليل } جرحتم } ما كسبتم من العمل { بالنهار ثم يبعثكم فيه } يرد إليكم أرواحكم في النهار { ليقضى أجل مسمى } يعني : أجل الحياة إلى الموت أي : لتستوفوا أعماركم المكتوبة

وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (61)

مضى هذا { ويرسل عليكم حفظة } من { وهو القاهر فوق عباده } الملائكة يحصون أعمالكم { حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا } أعوان ملك الموت { وهم لا يفرطون } لا يعجزون ولا يضيعون

ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (62)

يعني : العباد يردون بالموت { إلى الله مولاهم الحق ألا { ثم ردوا } له الحكم } أي : القضاء فيهم { وهو أسرع الحاسبين } أقدر المجازين

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (63)

سؤال توبيخ وتقرير أي : إن الله يفعل ذلك { من { قل من ينجيكم }

ظلمات البر والبحر } أهوالهما وشدائدهما { تدعونه تضرعا وخفية } علانية وسرا { لئن أنجانا من هذه } أي : من هذه الشدائد { لنكونن من الشاكرين } من المؤمنين الطائعين وكانت قريش تسافر في البر والبحر فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم وهو قوله :

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (64)

الآية أعلم الله سبحانه أن الله الذي دعوه هو { قل الله ينجيكم منها } ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها من صنعتهم وأنها لا تضر ولا تنفع والكرب أشد الغم ثم أخبر أنه قادر على تعذيبهم فقال :

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (65)

كالصيحة { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم } والحجارة والماء { أو من تحت أرجلكم } كالخسف والزلزلة { أو يلبسكم شيعا } يخلطكم فرقا بأن يبث فيكم الأهواء المختلفة فتخالفون وتقاتلون وهو معنى قوله : { ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف } نبين لهم { الآيات } في القرآن { لعلهم يفقهون } لكي يعلموا

وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (66)

بالقرآن { قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل } { وكذب به } بمسلط أي : إنما أدعوكم إلى الله ولم أومر بحربكم ولا أخذكم

بالإيمان وهذا منسوخ بآية القتال

لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (67)

لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير { لكل نبإ مستقر } خلف { وسوف تعلمون } ما كان منه في الدنيا فتستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم يعني : العذاب الذي كان يعدهم في الدنيا والآخرة

وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (68)

بالتكذيب والاستهزاء { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا } { فأعرض عنهم } أمر الله تعالى رسوله عليه السلام فقال : إذا رأيت المشركين يكذبون بالقرآن وبك ويستهزئون فاترك مجالستهم { حتى يخوضوا في حديث غيره } حتى يكون خوضهم في غير القرآن { وإما ينسينك الشيطان } إن نسيت فقعدت { فلا تقعد بعد الذكرى } فقم إذا ذكرت فقال المسلمون : لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فرخص للمؤمنين في القعود معهن يذكرونهم فقال :

وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (69)

الشرك والكبائر { من حسابهم } آثامهم { { وما على الذين يتقون } من شيء ولكن ذكرى } يقول : ذكروهم بالقرآن وبمحمد فرخص

لهم بالقعود بشرط التذكير والموعظة { لعلهم يتقون } ليرجى منهم التقوى

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (70)

يعني : الكفار الذين إذا سمعوا { وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا } آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها { وذكر به } وعظ بالقرآن { أن تبسل نفس بما كسبت } تسلم للهلكة وتحبس في جهنم فلا تقدر على التخلص ومعنى الآية : وذكرهم بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون { وإن تعدل كل عدل } يعني : النفس المبسلة تفد كل فداء يعني : تفد بالدنيا وما فيها { لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا } أسلموا للهلاك { لهم شراب من حميم } وهو الماء الحار

قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين (71)

أنعبد ما لا يملك لنا { قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا } نفعا ولا ضرا لأنه جماد ؟ { ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله } نرد وراءنا إلى الشرك بالله فيكون حالنا كحال { كالذي استهوته الشياطين في الأرض } استغوته واستفزته الغيلان في المهانة { حيران } مترددا لا يهتدي إلى المحجة { له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا } هذا مثل من ضل بعد الهدى يجيب الشيطان الذي يستهويه في المفازة فيصبح في مضلة من الأرض يهلك فيها ويعصي من يدعوه إلى المحجة كذلك من ضل بعد الهدى { قل إن هدى الله

هو الهدى } رد على من دعا إلى عبادة الأصنام أي : لا نفعل ذلك لأن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (72)

{ وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون }

وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير (73)

أي : بكمال قدرته { وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق } وشمول علمه وإتقان صنعه وكل ذلك حق { ويوم يقول } واذكر يا محمد يوم يقول للشيء { كن فيكون } يعني : يوم القيامة يقول للخلق انتشروا فينتشرون

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (74)

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في { ضلال مبين }

وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين (75)

أي : وكما أرينا إبراهيم استقباح ما كان عليه { وكذلك نري إبراهيم }

أبوه من عبادة الأصنام نريه { ملكوت السماوات والأرض } يعني : ملكهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار أراه الله تعالى هذه الأشياء حتى نظر إليها معتبرا مستدلا بها على خالقها وقوله : { وليكون من الموقنين } عطف على المعنى تقديره : ليستدل بها وليكون من الموقنين

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (76)

أي : ستر وأظلم { عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي } { فلما جن } أي : في زعمكم أيها القائلون بحكم النجم وذلك أنهم كانوا أصحاب نجوم يرون التدبيرفي الخليقة لها { فلما أفل } أي : غاب { قال لا أحب الأفلين } عرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم ودل على أن من غاب بعد الظهور كان حادثا مسخرا وليس برب

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77)

طالعا فاحتج عليهم في القمر والشمس { فلما رأى القمر بازغا } بمثل ما احتج به عليهم في الكوكب وقوله : { لئن لم يهدني ربي } : أي : لئن لم يثبتني على الهدى وقوله للشمس

فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (78)

ولم يقل هذه لأن لفظ الشمس مذكر ولأن الشمس { هذا ربي } بمعنى الضياء والنور فحمل الكلام على المعنى { هذا أكبر } أي : من الكوكب والقمر فلما توجهت الحجة على قومه قال : { إني بريء

مما تشركون }

إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (79)

أي : جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عز { إني وجهت وجهي } وجل وباقي الآية مفسر فيما مضى

وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون (80)

جادلوه وخاصموه في تركه آلهتهم وعبادة الله { وحاجه قومه } وخوفوه أن تصيبه آلهتهم بسوء فقال : { أتحاجوني في الله } أي : في عبادته وتوحيده { وقد هدان } بين لي ما به اهتديت { ولا أخاف ما تشركون به } من الأصنام أن تصيبني بسوء { إلا أن يشاء ربي شيئا } إني لا أخاف إلا مشيئة الله أن يعذبني { وسع ربي كل شيء علما } علمه علما تاما { أفلا تتذكرون } تتعظون وتتركون عبادة الأصنام

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون (81)

يعني : الأصنام أنكر أن يخافها { ولا { وكيف أخاف ما أشركتم } تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا } ما ليس لكم في إشراكه بالله حجة وبرهان { فأي الفريقين أحق بالأمن } بأن يأمن العذاب الموحد أم المشرك ؟

الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (82)

لم يخلطوا إيمانهم بشرك { { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } أولئك لهم الأمن } من العذاب { وهم مهتدون } إلى دين الله

وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (83)

يعني : ما احتج به عليهم { آتيناها إبراهيم } ألهمنا { وتلك حجتنا } إبراهيم فأرشدناه إليها { نرفع درجات من نشاء } مراتبهم بالعلم والفهم ثم ذكر نوحا ومن هدى من الأنبياء من أولاده إلى قوله :

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (84)

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته { داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين }

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (85)

{ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين }

وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (86)

أي : من المذكورين هاهنا { فضلنا على العالمين } علمي { وكلا } زمانهم

ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (87)

أي : وهدينا بعض آبائهم { وذرياتهم وإخوانهم } فـ { ومن آبائهم } من هاهنا للتبغيض

ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (88)

دين الله الذي هم عليه { يهدي به من يشاء } يريد { ذلك هدى الله } : يرشد إليه من يشاء { من عباده ولو أشركوا } عبدوا غيري { لحبط } بطل عملهم

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين (89)

يعني : الكتب التي أنزلها عليهم { أولئك الذين آتيناهم الكتاب } { والحكم } العلم والفقه { فإن يكفر بها } أي : بآياتنا { هؤلاء } أهل مكة { فقد وكلنا بها } أي : أرصدنا لها { قوما } وفقناهم لها وهم المهاجرون والأنصار

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو

إلا ذكرى للعالمين (90)

يعني : النبيين الذين تقدم ذكرهم { أولئك الذين هدى الله } { فبهداهم اقتده } أي : اصبر كما صبروا فإن قومهم كذبوهم فصبروا { قل لا أسألكم عليه } على القرآن وتبليغ الرسالة { أجرا } مالا تعطونيه { إن هو } يعني : القرآن { إلا ذكرى للعالمين } موعظة للخلق أجمعين

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (91)

ما عظموا الله حق عظمته وما وصفوه { وما قدروا الله حق قدره } حق صفته { إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء } وذلك أن ليهود أنكروا إنزال الله عز وجل من السماء كتابا إنكارا للقرآن { قل } لهم يا محمد : { من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى } يعني : التوراة { تجعلونه قراطيس } مكتوبة وتودعونه إياها { تبدونها } يعني : القراطيس يبدون ما يحبون ويكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم { وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم } في التوراة فضيعتموه ولم تنتفعوا به { قل الله } أي : الله أنزله { ثم ذرهم في خوضهم } إفكهم وحديثهم الباطل { يلعبون } يعملون ما لا يجدي عليهم

وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (92)

يعني : القرآن { أنزلناه مبارك } كثير خيره دائم نفعه { وهذا كتاب }

يبشر بالثواب ويزجر عن القبيح إلى ما لا يحصى من بركاته { مصدق الذي بين يديه } موافق لما قبله من الكتب { ولتنذر أم القرى } أهل مكة { ومن حولها } يعني : أهل سائر الآفاق { والذين يؤمنون بالآخرة } إيمانا حقيقيا { يؤمنون به } بالقرآن

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (93)

نزلت في مسيلمة والأسود { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا } العنسي ادعيا النبوة وأن الله قد أوحى إليهما وهذا معنى قوله : { أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } يعني : المستهزئون الذين قالوا : { لو نشاء لقلنا مثل هذا } { ولو ترى } يا محمد { إذ الظالمون } يعني : الذين ذكرهم { في غمرات الموت } شدائده وأهواله { والملائكة باسطوا أيديهم } إليهم بالضرب والتعذيب { أخرجوا أنفسكم } أي : يقولون ذلك ونفس الكافر تخرج بمشقة وكره لأنها تصير إلى أشد العذاب والملائكة يكرهونهم على نزع الروح ويقولون : { أخرجوا أنفسكم } كرها { اليوم تجزون عذاب الهون } أي : العذاب الذي يقع به الهوان الشديد { بما كنتم تقولون على الله غير الحق } من أنه أوحي إليكم ولم يوح { وكنتم عن آياته تستكبرون } عن الإيمان بها تتعظمون

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (94)

يقال للكفار في الآخرة : جئتمونا فرادى بلا { ولقد جئتمونا فرادى } أهل ولا مال ولا شيء قدمتموه { كما خلقناكم أول مرة } كما

خرجتم من بطون أمهاتكم { وتركتم ما خولناكم } ملكناكم وأعطيناكم من المال والعبيد والمواشي { وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء } وذلك أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام على أنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده { لقد تقطع بينكم } وصلكم ومودتكم { وضل عنكم } ذهب عنكم { ما كنتم تزعمون } تكذبون في الدنيا

إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون (95)

شاقه بالنبات { والنوى } بالنخلة { يخرج { إن الله فالق الحب } الحي من الميت } يخرج النطفة بشرا حيا { ومخرج الميت } النطفة { من الحي } وقيل : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن { ذلكم الله } الذي فعل هذه الأشياء التي تشاهدونها ربكم ! { فأنى تؤفكون } فمن أين تصرفون عن الحق بعد البيان

فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم (96)

شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده على { فالق الإصباح } معنى أنه خالقه ومبديه { وجعل الليل سكنا } للخلق يسكنون فيه سكون الراحة { والشمس والقمر حسبانا } وجعل الشمس والقمر بحسبان لا يجاوزانه فيما يدوران في حساب { ذلك تقدير العزيز } في ملكه يصنع ما أراد { العليم } بما قدر من خلقهما

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون (97)

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد { فصلنا الآيات لقوم يعلمون }

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (98)

يعني : آدم { فمستقر } أي : { وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة } فلكم مستقر في الأرحام { ومستودع } في الأصلاب

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون (99)

يعني : المطر { فأخرجنا به نبات { وهو الذي أنزل من السماء ماء } كل شيء } ينبت { فأخرجنا } من ذلك النبات { خضرا } أخضر كالقمح والشعير والذرة وما كان رطبا أخضر مما ينبت من الحبوب { نخرج منه } من الخضر { حبا متراكبا } بعضه على بعض في سنبلة واحدة { ومن النخل من طلعها } أول ما يطلع منها { قنوان } يعني : العراجين التي قد تدلت من الطلع { دانية } ممن يجتنيها يعني : قصار النخل اللاحقة عذوقها بالأرض { وجنات } أي : وأخرجنا بالماء جنات { من أعناب والزيتون } وشجر الزيتون { والرمان } وشجر الرمان { مشتبها } في اللون يعني : الرماني { وغير متشابه } في الطعم أي : مختلفة في الطعم وقيل : مشتبها ورقها مختلفا ثمرها { انظروا إلى ثمره } نظر الاستدلال والعبرة أول ما يعقد { وينعه } نضجه { إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون } يصدقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم

سبحانه وتعالى عما يصفون (100)

أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان { وجعلوا لله شركاء الجن } فجعلوهم شركاء لله { وخرقوا له بنين وبنات } افتعلوا ذلك كذبا وكفرا يعني : الذين قالوا : الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حين دعوا لله ولدا { بغير علم } لم يذكروه عن علم إنما ذكروه تكذبا وقوله :

بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (101)

أي : من أين يكون له ولد ؟ { أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة } ولا يكون الولد إلا من صاحبة ولا صاحبة له { وخلق كل شيء } أي : وهو خالق كل شيء

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (102)

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل { شيء وكيل }

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (103)

في الدنيا لأنه وعد في القيامة الرؤية بقوله : { لا تدركه الأبصار } { وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة } الآية والمطلق يحمل على المقيد وقيل : لا يحيط بكنهه وحقيقته الأبصار وهي تراه فالأبصار ترى الباري ولا تحيط به { وهو يدرك الأبصار } يراها ويحيط بها علما لا

كالمخلوقين الذين لا يدركون حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما { وهو اللطيف } الرفيق بأوليائه { الخبير } بهم

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (104)

يعني : بينات القرآن { فمن أبصر } { قد جاءكم بصائر من ربكم } اهتدى { فلنفسه } عمل { ومن عمي فعليها } فعلى نفسه جنى العذاب { وما أنا عليكم بحفيظ } برقيب على أعمالكم حتى أجازيكم بها

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (105)

وكما بينا في هذه السورة { نصرف } نبين { الآيات } { وكذلك } في القرآن ندعوهم بها ونخوفهم { وليقولوا درست } عطف على المضمر في المعنى والتقدير : نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست أي : تعلمت من يسار وجبر واليهود ومعنى درس : قرأ على غيره ومعنى هذه اللام في قوله : { وليقولوا } معنى لم العاقبة أي : نصرف الآيات ليكون عاقبة أمرهم تكذيبا للشقاوة التي لحقتهم { ولنبينه لقوم يعلمون } يعني : أولياءه الذين هداهم والذين سعدوا بتبيين الحق

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (106)

{ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين }

ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (107)

أي : ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين { وما { ولو شاء الله ما أشركوا } جعلناك عليهم حفيظا } لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا فلا تهتم لشركهم فإن ذلك لمشيئة الله

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (108)

يعني : أصنامهم ومعبوديهم { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله } وذلك أن المسلمين كانوا يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا { الله عدوا بغير علم } أي : ظلما بالجهل { كذلك } أي : كما زينا لهؤلاء عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان { زينا لكل أمة عملهم } من الخير والشر

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (109)

اجتهدوا في المبالغة في اليمين { لئن { وأقسموا بالله جهد أيمانهم } جاءتهم آية ليؤمنن بها } وذلك أنه لما نزل : { إن نشأ ننزل عليهم } الآية أقسم المشركون بالله لئن جاءنهم آية ليؤمنن بها وسأل المسلمون ذلك وعلم الله سبحانه أنهم لا يؤمنون فأنزل الله هذه الآية { قل إنما الآيات عند الله } هو القادر على الإتيان بها { وما يشعركم } وما يدريكم إيمانهم أي : هم لا يؤمنون مع مجيء الآيات إياهم ثم ابتدأ فقال : { أنها إذا جاءت لا يؤمنون } ومن قرأ أنها بفتح الألف كانت بمعنى لعلها ويجوز أن تجعل لا زائدة مع فتح أن

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (110)

نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم } الآية بتقليب قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن تكون عليه فلا يؤمنون { كما لم يؤمنوا به } بالقرآن أو بمحمد عليه السلام { أول مرة } أتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره { ونذرهم في طغيانهم يعمهون } أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون (111)

فرأوهم عيانا { وكلمهم الموتى } { ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة } فشهدوا لك بالصدق والنبوة { وحشرنا عليهم } وجمعنا عليهم { كل شيء } في الدنيا { قبلا } و { قبلا } أي : معاينة ومواجهة { ما كانوا ليؤمنوا } لما سبق لهم من الشقاء { إلا أن يشاء الله } أن يهديهم { ولكن أكثرهم يجهلون } أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (112)

كما ابتليناك بهؤلاء القوم كذلك جعلنا { وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا } لكل نبي قبلك أعداء ليعظم ثوابه والعدو هاهنا يراد به الجمع ثم بين من هم فقال : { شياطين الإنس } يعني : مردة الإنس والشيطان : كل متمرد عات من الجن والإنس { يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } يعني : إن شياطين الجن الذين هم من جند إبليس

يوحون إلى كفار الإنس ومردتهم فيغرونهم بالمؤمنين وزخرف القول : باطله الذي زين ووشي بالكذب والمعنى أنهم يزينون لهم الأعمال القبيحة غرورا { ولو شاء ربك ما فعلوه } لمنع الشياطين من الوسوسة للإنس

ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (113)

ولتميل إلى ذلك الزخرف والغرور { أفئدة الذين لا { ولتصغى إليه } يؤمنون بالآخرة } قلوب الذين لا يصدقون بالبعث { وليرضوه } ليحبوه { وليقترفوا } ليعملوا ما هم عاملون

أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (114)

أي : قل لأهل مكة : أفغير الله { أبتغي حكما } قاضيا { أفغير الله } بيني وبينكم { وهو الذي أنزل إليكم الكتاب } القرآن { مفصلا } مبينا فيه أمره ونهيه { والذين آتيناهم الكتاب } من اليهود والنصارى { يعلمون } أن القرآن { منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين } من الشاكين أنهم يعلمون ذلك

وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (115)

أقضيته وعداته لأوليائه في أعدائه { صدقا } { وتمت كلمة ربك } فيما وعد { وعدلا } فيما حكم والمعنى : صادقة عادلة { لا مبدل لكلماته } لا مغير لحكمه ولا خلف لوعده { وهو السميع } لتضرع

أوليائه ولقول أعدائه { العليم } بما في قلوب الفريقين

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (116)

يعني : المشركين { يضلوك عن { وإن تطع أكثر من في الأرض } سبيل الله } دين الله الذي رضيه لك وذلك أنهم جادلوه في أكل الميتة وقالوا : أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم ؟ { إن يتبعون إلا الظن } في تحليل الميتة { وإن هم إلا يخرصون } يكذبون في تحليل ما حرمه الله

إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (117)

{ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين }

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (118)

أي : مما ذكي على اسم الله { إن { فكلوا مما ذكر اسم الله عليه } كنتم بآياته مؤمنين } تأكيد لاستحلال ما أباحه الشرع ثم أبلغ في إباحة ما ذبح على اسم الله بقوله :

وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين (119)

عند الذبح { وقد { وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه }

فصل } بين { لكم ما حرم عليكم } في قوله : { حرمت عليكم الميتة } الآية { إلا ما اضطررتم إليه } دعتكم الضرورة إلى أكله مما لا يحل عند الاختيار { وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم } أي : الذين يحلون الميتة ويناظرونكم في إحلالها ضلوا باتباع أهوائهم { بغير علم } إنما يتبعون فيه الهوى ولا بصيرة عندهم ولا علم { إن ربك هو أعلم بالمعتدين } المتجاوزين الحلال إلى الحرام

وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون (120)

سره وعلانيته ثم أوعد بالجزاء فقال : { { وذروا ظاهر الإثم وباطنه } إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون }

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون (121)

مما لم يذك ومات { وإنه } { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه } وإن أكله { لفسق } خروج عن الحق { وإن الشياطين } يعني : إبليس وجنوده وسوسوا { إلى أوليائهم } من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه في أكل الميتة { وإن أطعتموهم } في استحلال الميتة { إنكم لمشركون } لأن من أحل شيئا مما حرمه الله فهو مشرك

أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون (122)

ضالا كافرا فهديناه { وجعلنا له نورا } { أو من كان ميتا فأحييناه } دينا وإيمانا { يمشي به في الناس } مع المسلمين مستضيئا بما قذف الله في قلبه من نور الحكمة والإيمان { كمن مثله } كمن هو { في الظلمات } في ظلمات الكفر والضلالة { ليس بخارج منها } ليس بمؤمن أبدا نزلت في أبي جهل وحمزة بن عبد المطلب { كذلك } كما زين للمؤمنين الإيمان { زين للكافرين ما كانوا يعملون } من عبادة الأصنام

وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون (123)

يعني : كما أن فساق { وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها } مكة أكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها يعني : رؤساءها ومترفيها { ليمكروا فيها } بصد الناس عن الإيمان { وما يمكرون إلا بأنفسهم } لأن وبال مكرهم يعود عليهم { وما يشعرون } أنهم يمكرون بها

وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (124)

مما أطلع الله عليه نبيه عليه السلام مما يخبرهم { وإذا جاءتهم آية } به { قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله } حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل فنصدق به وذلك أن كل واحد من القوم سأل أن يخص بالوحي كما قال الله : { بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة } فقال الله سبحانه : { الله أعلم حيث يجعل رسالته } يعني : أنهم ليسوا بأهل لها هو أعلم بمن يختص بالرسالة { سيصيب الذين أجرموا صغار } مذلة وهوان { عند الله } أي : ثابت لهم عند الله ذلك

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (125)

يوسع قلبه ويفتحه { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } ليقبل الإسلام { ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا } شديد الضيق { كأنما يصعد في السماء } إذا كلف الإيمان لشدته وثقله عليه { كذلك } مثل ما قصصنا عليك { يجعل الله الرجس } العذاب { على الذين لا يؤمنون }

وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون (126)

هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك { وهذا صراط ربك } { مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون } وهم المؤمنون

لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون (127)

الجنة { عند ربهم } مضمونة لهم حتى يدخلهموها { لهم دار السلام } { وهو وليهم } يتولى إيصال الكرامات إليهم { بما كانوا يعملون } من الطاعات

ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (128)

الجن والإنس فيقال لهم : { يا معشر الجن { ويوم يحشرهم جميعا } قد استكثرتم من الإنس } أي : من إغوائهم وإضلالهم { وقال أولياؤهم } الذين أضلهم الجن { من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض } يعني : طاعة الإنس للجن وقبولهم منهم ما كانوا يغرونهم به من الضلالة وتزيين الجن للإنس ما كانوا يهوونه حتى يسهل عليهم فعله { وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا } يعني : الموت والظاهر أنه البعث والحشر { قال النار مثواكم } فيها مقامكم { خالدين فيها إلا ما شاء الله } من شاء الله وهم من سبق في علم الله أنهم يسلمون { إن ربك حكيم } حكم للذين استثنى بالتوبة والتصديق { عليم } علم ما في قلوبهم من البر

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (129)

كما خذلنا عصاة الجن والإنس { وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا } نكل بعض الظالمين إلى بعض حتى يضل بعضهم بعضا

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (130)

الرسل كانت من { يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم } الإنس والذين بلغوا الجن منهم عن الرسل كانوا من الجن وهم النذر كالذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم من الجن فأبلغوه قومهم

ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون (131)

الذي قصصنا عليك من أمر الرسل لأنه { لم يكن ربك مهلك { ذلك }

القرى بظلم } أي : بذنوبهم ومعاصيهم من قبل أن يأتيهم الرسول فينهاهم وهو معنى قوله : { وأهلها غافلون } أي : لكل عامل بطاعة الله درجات في الثواب ثم أوعد المشركين فقال : { وما ربك بغافل عما يعملون }

ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون (132)

{ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون }

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (133)

عن عبادة خلقه { ذو الرحمة } بخلقه فلا يعجل { وربك الغني } عليهم بالعقوبة { إن يشأ يذهبكم } يعني : أهل مكة { ويستخلف من بعدكم } وينشئ من بعدكم خلقا آخر { كما أنشأكم } خلقكم ابتداء { من ذرية قوم آخرين } يعني : آباءهم الماضين

إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين (134)

{ إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين }

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (135)

على حالاتكم التي أنتم عليها { قل يا قوم اعملوا على مكانتكم } { إني عامل } على مكانتي وهذا أمر تهديد يقول : اعملوا ما أنتم

عاملون إني عامل ما أنا عامل { فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار } أينا تكون له الجنة { إنه لا يفلح الظالمون } لا يسعد من كفر بالله وأشرك بالله

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (136)

كان المشركون يجعلون { وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام } لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم { نصيبا } وللأوثان نصيبا فما كان للصنم أنفق عليه وما كان لله أطعم الضيفان والمساكين فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا : إن الله غني عن هذا وإن سقط مما جعلوه للأوثان من نصيب الله التقطوه وردوه إلى نصيب الصنم وقالوا : إنه فقير فذلك قوله : { فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم } ثم ذم فعلهم فقال : { ساء ما يحكمون } أي : ساء الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوه لله على جهة التبرز إلى الأوثان

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (137)

ومثل ذلك الفعل القبيح { زين لكثير من المشركين قتل { وكذلك } أولادهم شركاؤهم } يعني : الشياطين أمروهم بأن يئدوا أولادهم خشية العيلة { ليردوهم } ليهلكوهم في النار { وليلبسوا عليهم دينهم } ليخلطوا ويدخلوا عليهم الشك في دينهم ثم أخبر أن جميع ما فعلوه كان بمشيئته فقال : { ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون } من أن لله شريكا

وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون (138)

حرموا أنعاما وحرثا وجعلوها { وقالوا هذه أنعام وحرث حجر } لأصنامهم فقالوا : { لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم } أعلم الله سبحانه أن هذا التحريم كذب من جهتهم { وأنعام حرمت ظهورها } كالسائبة والبحيرة والحامي { وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها } يقتلونها لآلتهم خنقا أو وقذا { افتراء عليه } أي : يفعلون ذلك للافتراء على الله وهو أنهم زعموا أن الله أمرهم بذلك

وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (139)

يعني : أجنة ما حرموها من { وقالوا ما في بطون هذه الأنعام } البحائر والسوائب { خالصة لذكورنا } حلال للرجال خاصة دون النساء هذا إذا خرجت الأجنة أحياء وإن كان ميتة اشترك فيها الرجال والنساء { سيجزيهم وصفهم } سيجزيهم الله جزاء وصفهم الذي هو كذب أي : سيعذبهم الله بما وصفوه من التحليل والتحريم الذي كله كذب { إنه حكيم عليم } أي : هو أعلم وأحكم من أن يفعل ما يقولون

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (140)

بالوأد { سفها } للسفه { وحرموا { قد خسر الذين قتلوا أولادهم } ما رزقهم الله } من الأنعام يعني : البحيرة وما ذكر معها

وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (141)

أبدع وخلق { جنات معروشات } يعني : الكرم { وهو الذي أنشأ } { وغير معروشات } ما قام على ساق ولم يعرش له كالنخل والشجر { والنخل والزرع مختلفا أكله } أكل كل واحد منهما وكل نوع من الثمر له طعم غير طعم النوع الآخر وكل حب من حبوب الزرع له طعم غير طعم الآخر { كلوا من ثمره إذا أثمر } أمر إباحة { وآتوا حقه يوم حصاده } يعني : العشر ونصف العشر { ولا تسرفوا } فتعطوا كله حتى لا يبقى لعيالكم شيء { إنه لا يحب المسرفين } يعني : المجاوزين أمر الله

ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (142)

وأنشأ من الأنعام { حمولة } وهي كل ما حمل عليها { ومن الأنعام } مما أطاق العمل والحمل { وفرشا } وهو الصغار التي لا يحمل عليها كالغنم والبقر والإبل الصغار { كلوا مما رزقكم الله } أي : أحل لكم ذبحه { ولا تتبعوا خطوات الشيطان } في تحريم شيء مما أحله الله { إنه لكم عدو مبين } بين العداوة أخرج أباكم من الجنة وقال : : لأحتنكن ذريته ثم فسر الحمولة والفرش فقال

ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين (143)

الذكر زوج والأنثى زوج وهي الضأن والمعز وقد ذكرا { ثمانية أزواج } في هذه الآية والإبل والبقر ذكرا فيما بعد وجعلها ثمانية لأنه أراد الذكر والأنثى من كل صنف وهو قوله : { من الضأن اثنين ومن المعز اثنين } والضأن : ذوات الصوف من المعز والغنم : ذوات الشعر { قل } يا محمد للمشركين الذين يحرمون على أنفسهم ما حرموا من النعم : { آلذكرين } من الضأن والمعز { حرم } الله عليكم { أم الأنثيين } فإن كان حرم من الغنم ذكورها فكل ذكورها حرام وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام { أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين } وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز فقد حرم الأولاد كلها وكلها أولاد فكلها حرام { نبئوني بعلم } أي : فسروا ما حرمتم بعلم إن كان لكم علم في تحريمه وهو قوله : { إن كنتم صادقين }

ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (144)

هل شاهدتم الله قد حرم هذا { أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا } إذ كنتم لا تؤمنون برسول الله ؟ ! فلما لزمتهم الحجة بين الله تعالى أنهم فعلوا ذلك كذبا على الله فقال : { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم } الآية يعني : عمرو بن لحي وهو الذي غير دين إسماعيل وسن هذا التحريم ثم ذكر المحرمات بوحي الله فقال :

قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم (145)

قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون }

يعني : سائلا { أو فسقا أهل لغير الله به } { ميتة أو دما مسفوحا يعني : ما ذبح على النصب

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون (146)

يعني : الإبل والنعامة { وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر } { ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا } وهي المباعر { أو ما اختلط بعظم } فإني لم أحرمه يعني : ما تعلق من الشحم بهذه الأشياء { ذلك } التحريم { جزيناهم ببغيهم } عاقبناهم بذنوبهم { وإنا لصادقون } في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم فلما ذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود قالوا له : ما أصبت وكذبوه فأنزل الله تعالى :

فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (147)

ولذلك لا يعجل عليكم { فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة } بالعقوبة { ولا يرد بأسه } عذابه إذا جاء الوقت { عن القوم المجرمين } يعني : الذين كذبوك بما تقول

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (148)

إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه { سيقول الذين أشركوا } : { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب } جعلوا قولهم : { لو شاء الله ما أشركنا } حجة لهم على إقامتهم على الشرك وقالوا إن الله رضي منا ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به ولو لم يرضه لحال بيننا وبينه ولا حجة لهم في هذا لأنهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشيئته وأمر الله بمعزل عن إرادته لأنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه وليس له أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر فقال الله تعالى : { كذلك كذب الذين من قبلهم } أي : كما كذبك هؤلاء كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم ولم يتعرض لقولهم : { لو شاء الله } بشيء { قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا } من كتاب نزل في تحريم ما حرمتم { إن تتبعون إلا الظن } ما تتبعون فيما أنتم عليه إلا الظن لا العلم واليقين { وإن أنتم إلا تخرصون } وما أنتم إلا كاذبين

قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (149)

بالكتاب والرسول والبيان { فلو شاء { قل فلله الحجة البالغة } لهداكم أجمعين } إخبار عن تعلق مشيئة الله تعالى بكفرهم وأن ذلك حصل بمشيئته إذ لو شاء الله لهداهم

قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (150)

أي : هاتوا شهداءكم وقربوهم وباقي الآية { قل هلم شهداءكم } ظاهر

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (151)

أقرأ عليكم الذي حرمه الله ثم { قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم } ذكر فقال : { أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا } وأوصيكم بالوالدين إحسانا { ولا تقتلوا أولادكم } من أولادكم من مخافة الفقر { ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن } يعني : سر الزنا وعلانيته { ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق } يريد القصاص

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (152)

وهو أن يصلح ماله { ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن } ويقوم فيه بما يثمره ثم يأكل بالمعروف إن احتاج إليه { حتى يبلغ أشده } أي : احفظوه عليه حتى يحتلم { وأوفوا الكيل } أتموه من غير نقص { والميزان } أي : وزن الميزان { بالقسط } بالعدل لا بخس ولا شطط { لا نكلف نفسا إلا وسعها } إلا ما يسعها ولا تضيق عنه وهو أنه لو كلف المعطي الزيادة لضاقت نفسه عنه وكذلك لو كلف الآخذ أن يأخذ بالنقصان { وإذا قلتم فاعدلوا } إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق { ولو } كان المشهود له أو عليه { ذا قربى }

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (153)

ولأن هذا { صراطي مستقيما } يريد : ديني دين الحنفية { وأن هذا } أقوم الأديان { فاتبعوه ولا تتبعوا السبل } اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان { فتفرق بكم عن سبيله } فتضل بكم عن

دينه { ذلكم } الذي ذكر { وصاكم } أمركم به في الكتاب { لعلكم تتقون } كي تتقوا السبل

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (154)

أي : ثم أخبركم أنا آتينا { موسى الكتاب تماما على الذي { ثم آتينا } أحسن } أي : على الذي أحسنه موسى من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة أي : علمه ومعنى : { تماما } على ذلك أي : زيادة عليه حتى تم له العلم بما آتيناه { وتفصيلا } أي : آتيناه للتمام والتفصيل وهو البيان { لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون } لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (155)

يعني : القرآن { أنزلناه مبارك } مضى تفسيره في { وهذا كتاب } هذه السورة

أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين (156)

لئلا تقولوا : { إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا { أن تقولوا } } يعني : اليهود والنصارى { وإن كنا عن دراستهم لغافلين } وما كنا إلا غافلين عن تلاوة كتبهم والخطاب لأهل مكة والمراد : إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد عليه السلام كيلا يقولوا يوم القيامة : إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما : فيهما وقوله

أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (157)

أي : أعرض { وصدف عنها }

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون (158)

إذا كذبوك { إلا أن تأتيهم الملائكة } عند الموت { هل ينظرون } لقبض أرواحهم وذكرنا معنى { ينظرون } في سورة البقرة { أو يأتي ربك } أي : أمره فيهم بالقتل { أو يأتي بعض آيات ربك } يعني : طلوع الشمس من مغربها والمعنى : إن هؤلاء الذي كذبوك إما أن يموتوا فيقعوا في العذاب أو يؤمر فيهم بالسيف أو يمهلون قدر مدة الدنيا فيتوالدون ويتنعمون فيها فإذا ظهرت أمارات القيامة { لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا } قدمت طاعة وهي مؤمنة { قل انتظروا } أحد هذه الأشياء { إنا منتظرون } بكم أحدها

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (159)

يعني : اليهود والنصارى أخذوا ببعض ما { إن الذين فرقوا دينهم } أمروا وتركوا بعضه كقوله إخبارا عنهم : { أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض } { وكانوا شيعا } أحزابا مختلفة بعضهم يكفر بعضا { لست منهم في شيء } يقول : لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم

نسخ هذا

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون (160)

من عمل من المؤمنين حسنة { فله عشر { من جاء بالحسنة } أمثالها } كتبت له عشر حسنات { ومن جاء بالسيئة } الخطيئة { فلا يجزى إلا مثلها } أي : جزاء مثلها لا يكون أكثر منها { وهم لا يظلمون } لا ينقص ثواب أعمالهم

قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (161)

أي : عرفني دينا { قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا } { قيما } مستقيما

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (162)

عبادتي من حجي وقرباني { ومحياي { قل إن صلاتي ونسكي } ومماتي لله رب العالمين } أي : هو يحييني وهو يميتني وأنا أتوجه بصلاتي وسائر المناسك إلى الله لا إلى غيره وقوله :

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (163)

بذلك أوحي إلي { وأنا أول المسلمين } من هذه { وبذلك أمرت } الأمة

قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (164)

سيدا وإلها { وهو رب كل شيء } مالكه { قل أغير الله أبغي ربا } وسيده { ولا تكسب كل نفس إلا عليها } لا تجني نفس ذنبا إلا أخذت به { ولا تزر وازرة وزر أخرى } يعني : الوليد بن المغيرة كان يقول : اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم فأنزل الله : { ولا تزر وازرة وزر أخرى } لا يحمل أحد جناية غيره حتى لا يؤاخذ بها الجاني

وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (165)

يا أمة محمد { خلائف } الأمم الماضية في { وهو الذي جعلكم } { الأرض } بأن أهلكهم وأورثكم الأرض بعدهم { ورفع بعضكم فوق بعض درجات } بالغنى والرزق { ليبلوكم في ما آتاكم } ليختبركم فيما رزقكم { إن ربك سريع العقاب } لأعدائه { وإنه لغفور } لأوليائه { رحيم } بهم

المص (1)

أنا الله أعلم وأفضل { المص }

كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين (2)

أي : هذا كتاب { أنزل إليك } من ربك { فلا يكن في { كتاب } صدرك حرج منه } فلا يضيقن صدرك بإبلاغ ما أرسلت به { لتنذر به } أي : أنزل لتنذر به الناس { وذكرى للمؤمنين } مواعظ للمصدقين

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون (3)

يعني : القرآن { ولا تتبعوا من دونه { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم } أولياء } لا تتخذوا غير الله أولياء { قليلا ما تذكرون } قليلا يا معشر المشركين اتعاظكم

وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون (4)

يعني : أهلها { فجاءها بأسنا } عذابنا { وكم من قرية أهلكناها } { بياتا } ليلا { أو هم قائلون } نائمون نهارا بعنب : جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (5)

دعاؤهم وتضرعهم { إذ جاءهم بأسنا إلا أن } { فما كان دعواهم } أقروا على أنفسهم بالشرك و { قالوا إنا كنا ظالمين }

فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين (6)

نسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به { فلنسألن الذين أرسل إليهم }

الرسل ونسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به

فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (7)

لنخبرنهم بما عملوا بعلم منا { وما كنا { فلنقصن عليهم بعلم } غائبين } عن الرسل والأمم ما بلغت وما رد عليهم قومهم

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (8)

يعني : وزن الأعمال يوم السؤال الذي ذكر في { والوزن يومئذ } قوله : { فلنسألن } { الحق } العدل وذلك أن أعمال المؤمنين تتصور في صورة حسنة وأعمال الكافرين في صورة قبيحة فتوزن تلك الصورة فذلك قوله : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون } الناجون الفائزون وهم المؤمنون

ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (9)

صاروا إلى { ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم } العذاب { بما كانوا بآياتنا يظلمون } يجحدون بما جاء به محمد عليه السلام

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (10)

ملكناكم فيما بين مكة إلى اليمن وإلى { ولقد مكناكم في الأرض }

الشام يعني : مشركي مكة { وجعلنا لكم فيها معايش } ما تعيشون به من الرزق والمال والتجارة { قليلا ما تشكرون } أي : إنكم غير شاكرين لما أنعمت عليكم

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (11)

يعني : آدم { ثم صورناكم } في ظهره { ولقد خلقناكم }

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (12)

لا زائدة معناها : ما منعك أن تسجد ؟ { قال ما منعك أن لا تسجد } وهو سؤال التوبيخ والتعنيف { قال أنا خير منه } معناه : منعني من السجود له أني خير منه إذ كنت ناريا وكان طينيا فترك الأمر وقاس فعصى

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين (13)

فانزل من الجنة وقيل : من السماء { فما يكون { قال فاهبط منها } لك أن تتكبر فيها } عن أمري وتعصيني { فاخرج إنك من الصاغرين } الأذلاء بترك الطاعة

قال أنظرني إلى يوم يبعثون (14)

أمهلني { إلى يوم يبعثون } يريد : النفخة الثانية { قال أنظرني }

قال إنك من المنظرين (15)

{ قال إنك من المنظرين }

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (16)

يريد : فبما أضللتني أي : بإغوائك إياي { قال : فبما أغويتني } { لأقعدن لهم صراطك المستقيم } على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة بأن أزين لهم الباطل

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين (17)

يعني : آخرتهم التي يردون عليها { ثم لآتينهم من بين أيديهم } فأشككهم فيها { ومن خلفهم } دنياهم التي يخلفونها فأرغبهم فيها { وعن أيمانهم } أشبه عليهم أمر دينهم { وعن شمائلهم } أشهي لهم المعاصي

قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (18)

من الجنة { مذؤوما } مذموما بأبلغ الذم { قال اخرج منها } { مدحورا } مطرودا ملعونا { لمن تبعك منهم } من أولاد آدم { لأملأن جهنم منكم } يعني : من الكافرين وقرنائهم من الشياطين

ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (19)

سبق تفسيره في سورة البقرة { ويا آدم اسكن }

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (20)

أي : حدث لهما في أنفسهما { ليبدي { فوسوس لهما الشيطان } لهما } هذه اللام لام العاقبة وذلك أن عاقبة تلك الوسوسة أدت إلى أن بدت لهما سوآتهما يعني : فروجهما بتهافت اللباس عنهما وهو قوله { ما وري } أي : ستر { عنهما من سوآتهما } { وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة } أي : عن أكلها { إلا أن تكونا } لا هاهنا مضمرة أي : إلا أن لا تكونا { ملكين } يبقيان ولا يموتان كما لا تموت الملائكة يدل على هذا المعنى قوله : { أو تكونا من الخالدين }

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (21)

حلف لهما { إني لكما لمن الناصحين } { وقاسمهما }

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (22)

غرهما باليمين ومعنى دلاهما : جرأهما على أكل { فدلاهما بغرور } الشجرة بما غرهما به من يمينه { فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما } تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه فاستحييا { وطفقا يخصفان } أقبلا وجعلا يرقعان الورق كهيئة الثواب ليستترا به { وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين }

قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (23)

قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من { الخاسرين }

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (24)

موضع { قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر } قرار ثم فسر ذلك بقوله :

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (25)

ولما ذكر عري آدم وحواء من علينا بما خلق لنا من { فيها تحيون } اللباس فقال :

يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (26)

أي : خلقنا لكم { لباسا يواري سوآتكم { يا بني آدم قد أنزلنا عليكم } } يستر عوراتكم { وريشا } أي : مالا وما تتجملون به من الثياب الحسنة { ولباس التقوى } أي : ستر العورة لمن يتقي الله فيواري عورته { ذلك خير } لصاحبه إ ذا أخذ به أو خير من التعري وذلك أن جماعة من المشركين كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت { ذلك من آيات الله } أي : من فرائضه التي أوجبها بآياته يعني : ستر العورة { لعلهم يذكرون } لكي يتعظوا

يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (27)

لا يخدعنكم ولا يضلنكم { كما { يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان } أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما } أضاف النزع إليه وإن لم يتول ذلك لأنه كان بسبب منه { إنه يراكم هو وقبيله } يعني : ومن كان من نسله { إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون } سلطناهم عليهم ليزيدوا في غيهم كما قال : { أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين }

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (28)

يعني : طوافهم بالبيت عارين { وإذا فعلوا فاحشة }

قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (29)

رد لقولهم : (والله أمرنا به) والقسط : { قل أمر ربي بالقسط } العدل { وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد } وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة { وادعوه مخلصين له الدين } وحدوه ولا تشركوا به شيئا { كما بدأكم } في الخلق شقيا وسعيدا فكذلك : { تعودون } سعداء وأشقياء يدل على صحة هذا المعنى قوله

فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (30)

أرشد إلى دينه وهم أولياؤه { وفريقا حق عليهم { فريقا هدى } الضلالة } أضلهم وهم أولياء الشيطان { إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون } ثم أمرهم أن يلبسوا : ثيابهم ولا يتعروا فقال

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (31)

يعني : ما وارى العورة { عند كل مسجد { يا بني آدم خذوا زينتكم } } لصلاة أو طواف { وكلوا واشربوا } كان أهل الجاهلية لا يأكلون أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : نحن أحق أن نفعل فأنزل الله تعالى : { وكلوا } يعني : اللحم والدسم { واشربوا } اللبن والماء وما أحل لكم { ولا تسرفوا } بحظركم على أنفسكم ما قد أحللته لكم من اللحم والدسم { إنه لا يحب } من فعل ذلك أي : لايثيبه ولا يدخله الجنة

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (32)

من حرم أن تلبسوا في { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده } طوافكم ما يستركم { والطيبات من الرزق } يعني : ما حرموه على أنفسهم أيام حجهم { قل هي } أي : الطيبات من الرزق { للذين آمنوا في الحياة الدنيا } مباحة لهم مع اشتراك الكافرين معهم فيها في الدنيا ثم هي تخلص للمؤمنين يوم القيامة وليس للكافرين فيها شيء وهو معنى قوله : { خالصة يوم القيامة } { كذلك نفصل الآيات } نفسر ما أحللت وما حرمت { لقوم يعلمون } أني أنا الله لا شريك لي

قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (33)

الكبائر والقبائح { ما ظهر منها وما { قل إنما حرم ربي الفواحش } بطن } سرها وعلانيتها { والإثم } يعني : المعصية التي توجب الإثم { والبغي } ظلم الناس وهو أن يطلب ما ليس له { وأن تشركوا بالله } تعدلوا به في العبادة { ما لم ينزل به سلطانا } لم ينزل كتابا فيه حجة { وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون } من أنه حرم الحرث والأنعام وأن الملائكة بنات الله

ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (34)

وقت مضروب لعذابهم وهلاكهم { فإذا جاء أجلهم { ولكل أمة أجل } } بالعذاب { لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يعذبوا

يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (35)

فرائضي { يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي } وأحكامي { فمن اتقى } اتقاني وخافني { وأصلح } ما بيني وبينه { فلا خوف عليهم } إذا خاف الخلق في القيامة { ولا هم يحزنون } إذا حزنوا

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (36)

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها } { خالدون

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (37)

فجعل له ولدا أو شريكا { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا } { أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب } ما كتب لهم من العذاب وهو سواد الوجه وزرقة العيون { حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم } يريد : الملائكة يقبضون أرواحهم { قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله } ؟ سؤال توبيخ وتبكيت وتقريع { قالوا ضلوا عنا } بطلوا وذهبوا { وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين } اعترفوا عند معاينة الموت وأقروا على أنفسهم بالكفر

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار

كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (38)

أي : قال الله تعالى لهم : ادخلوا النار { في أمم } { قال ادخلوا } أي : مع { أمم قد خلت من قبلكم } { كلما دخلت أمة } النار { لعنت أختها } يعني : الأمم التي سبقتها إلى النار لأنهم ضلوا باتباعهم { حتى إذا اداركوا فيها } أي : تداركوا وتلاحقوا جميعا في النار { قالت أخراهم } أي : أخراهم دخولا إلى النار { لأولاهم } دخولا يعني : قالت الأتباع للقادة : { ربنا هؤلاء أضلونا } لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلها { فآتهم عذابا ضعفا } أضعف عليهم العذاب بأشد مما تعذبنا به { قال } الله تعالى : { لكل ضعف } للتابع والمتبوع عذاب مضاعف { ولكن لا تعلمون } يا أهل الكتاب : في الدنيا مقدار ذلك وقوله

وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (39)

لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم { فما كان لكم علينا من فضل } في الكفر سواء

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (40)

بحججنا التي تدل على توحيد الله ونبوة { إن الذين كذبوا بآياتنا } الأنبياء { واستكبروا عنها } ترفعوا عن الإيمان بها والانقياد لأحكامها { لا تفتح لهم أبواب السماء } لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم ولا شيء مما يريدون الله به إلى السماء { ولا يدخلون الجنة حتى يلج } يدخل

{ الجمل في سم الخياط } ثقب الإبرة يعني : أبدا { وكذلك } وكما وصفنا { نجزي المجرمين } أي : المكذبين بآيات الله ثم أخبر عن إحاطة النار بهم من كل جانب فقال :

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (41)

يعني : لهم منها غطاء { لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش } ووطاء وفراش ولحاف { وكذلك نجزي الظالمين } يعني : الذين أشركوا بالله

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (42)

أي : إلا { والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها } ما تطيقه ولا تعجز عنه والمعنى : لا نكلف نفسا منهم إلا وسعها ثم أخبر بباقي الآية عن مآلهم

ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (43)

أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم { ونزعنا ما في صدورهم من غل } على بعض في دار الدنيا { تجري من تحتهم الأنهار } من تحت منازلهم وقصورهم فإذا استقروا في منازلهم { قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا } أي : هدانا لما صيرنا إلى هذا الثواب من العمل الذي أدى إليه وأقروا أن المهتدي من هدى الله بقوله : { وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله } فحين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا قالوا : { لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة } قيل لهم : هذه تلكم

الجنة التي وعدتم { أورثتموها } أورثتم منازل أهل النار فيها لو عملوا بطاعة الله { بما كنتم تعملون } توحدون الله وتطيعونه

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (44)

في { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا } الدنيا من الثواب { حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم } من العذاب { حقا } وهذا سؤال تعيير وتقرير فأجاب أهل النار و { قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم } نادى مناد وسطهم نداء يسمع الفريقين وهو صاحب الصور { أن لعنة الله على الظالمين }

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (45)

يمنعون { عن سبيل الله } دين الله وطاعته { الذين يصدون } { ويبغونها عوجا } ويطلبونها بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله

وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (46)

بين أهل الجنة وبين أهل النار { حجاب } حاجز وهو سور { وبينهما } الأعراف { وعلى الأعراف } يريد : سور الجنة { رجال } وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم { يعرفون كلا بسيماهم } يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسوادها وذلك لأن موضعهم عال مرتفع فهم يرون الفريقين { ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم }

إذا نظروا إلى الجنة سلموا على أهلها { لم يدخلوها } يعني : أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة { وهم يطمعون } في دخولها

وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (47)

أي : جهة لقائهم { وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار }

ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (48)

من أهل النار { يعرفونهم بسيماهم { ونادى أصحاب الأعراف رجالا } } من رؤساء المشركين فيقولون لهم : { ما أغنى عنكم جمعكم } المال واستكثارهم منه { وما كنتم تستكبرون } عن عبادة الله ثم يقسم أصحاب النار أن أصحاب الأعراف داخلون معهم النار فتقول : الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف

أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (49)

يا أصحاب النار { لا ينالهم الله برحمة } { أهؤلاء الذين أقسمتم } يقولون لأصحاب الأعراف : { ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون }

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (50)

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما } يعني : الطعام وهذا يدل على جوعهم وعطشهم { رزقكم الله { قالوا إن الله حرمهما على الكافرين } تحريم منع لا تحريم تعبد

الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون (51)

الذي شرع لهم { لهوا ولعبا } يعني : { الذين اتخذوا دينهم } المستهزئين المقتسمين { فاليوم ننساهم } نتركهم في جهنم { كما نسوا لقاء يومهم هذا } كما تركوا العمل لهذا اليوم { وما كانوا بآياتنا يجحدون } أي : وكما جحدوا بآياتنا ولم يصدقوها

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (52)

يعني : المشركين { بكتاب } هو القرآن { فصلناه { ولقد جئناهم } } بيناه { على علم } فيه يعني : ما أودع من العلوم وبيان الأحكام { هدى } هاديا { ورحمة } وذا رحمة { لقوم يؤمنون } لقوم أريد به هدايتهم وإيمانهم

هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (53)

ينتظرون أي : كأنهم ينتظرون ذلك لأنه يأتيهم لا { هل ينظرون } محالة { إلا تأويله } عاقبة ما وعد الله في الكتاب من البعث

والنشور { يوم يأتي تأويله } وهو يوم القيامة { يقول الذين نسوه من قبل } تركوا الإيمان به والعمل له من قبل إتيانه : { قد جاءت رسل ربنا بالحق } بالصدق والبيان { فهل لنا من شفعاء } هل يشفع لنا شافع ؟ { أو } هل { نرد } إلى الدنيا { فنعمل غير الذي كنا نعمل } نوحد الله ونترك الشرك يقول الله : { قد خسروا أنفسهم } حين صاروا إلى الهلاك { وضل عنهم ما كانوا يفترون } سقط عنهم ما كانوا يقولونه من أن مع الله إلها آخر

إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (54)

أي : في { إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام } مقدار ستة أيام من الأحد إلى السبت واجتمع الخلق في الجمعة { ثم استوى على العرش } أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك بعد خلق السماوات والأرض { يغشي الليل النهار } يلبسه ويدخله عليه { يطلبه حثيثا } يطلب الليل دائبا لا غفلة له { والشمس } وخلق الشمس { والقمر والنجوم مسخرات } مذللات لما يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع { بأمره } بإذنه { ألا له الخلق } يعني : إن جميع ما في العالم مخلوق له { و } له { الأمر } فيهم يأمر بما أراد { تبارك الله } تمجد وارتفع وتعالى

ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (55)

أي : تملقا { وخفية } سرا { إنه لا يحب { ادعوا ربكم تضرعا } المعتدين } المجاوزين ما أمروا به

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة

الله قريب من المحسنين (56)

بالشرك والمعاصي وسفك الدماء { بعد } { ولا تفسدوا في الأرض } إصلاح الله إياها ببعث الرسول { وادعوه خوفا } من عقابه { وطمعا } في ثوابه { إن رحمة الله } ثواب الله { قريب من المحسنين } وهم الذين يطيعون الله فيما أمر

وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (57)

طيبة لينة من النشر وهو الرائحة { وهو الذي يرسل الرياح بشرا } الطيبة وقيل : متفرقة في كل جانب بمعنى المنتشرة { بين يدي رحمته } قدام مطره { حتى إذا أقلت } أي : حملت هذه الرياح { سحابا ثقالا } بما فيها من الماء سقنا السحاب { لبلد ميت } إلى مكان ليس فيه نبات { فأنزلنا به } بذلك البلد { الماء فأخرجنا } بذلك الماء { من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى } أي : نحيي الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت { لعلكم تذكرون } لعلكم بما بينا تتعظون فتستدلون على توحيد الله وقدرته على البعث ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال :

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون (58)

يعني : العذب التراب { يخرج نباته بإذن ربه } وهذا { والبلد الطيب } مثل المؤمن يسمع القرآن فينتفع به ويحسن أثره غليه { والذي خبث } ترابه وأصله { لا يخرج } نباته { إلا نكدا } عسرا مبطئا وهو مثل الكافر يسمع القرآن ولا يؤثر فيه أثرا محمودا كالبلد الخبيث لا يؤثر فيه المطر { كذلك نصرف الآيات } نبينها { لقوم يشكرون } نعم

الله ويطيعونه

لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (59)

: ظاهر إلى قوله { ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه }

قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين (60)

{ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين }

قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (61)

{ قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين }

أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (62)

أي : أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه { وأعلم من الله { وأنصح لكم } ما لا تعلمون } من أنه غفور لمن رجع عن معاصيه وأن عذابه أليم لمن أصر عليها

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (63)

موعظة من الله { على رجل } { أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم } على لسان رجل { منكم } تعرفون نسبه وقوله :

فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين (64)

عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى { إنهم كانوا قوما عمين } وقدرته

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (65)

وأرسلنا إلى عاد أخاهم ابن أبيهم { هودا قال يا { وإلى عاد أخاهم } قوم اعبدوا الله } وحدوا الله { ما لكم من إله غيره أفلا تتقون } أفلا تخافون نقمته

قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (66)

الرؤساء والجماعة { الذين كفروا من قومه إنا لنراك { قال الملأ } في سفاهة } حمق وجهل { وإنا لنظنك من الكاذبين } فيما جئت به من ادعاء النبوة وقوله :

قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (67)

{ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين }

أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (68)

أي : على الرسالة لا أكذب فيها { ناصح أمين }

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (69)

أي : استخلفكم في { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح } الأرض بعد هلاكهم { وزادكم في الخلق بسطة } فضيلة في الطول { فاذكروا آلاء الله } نعم الله عليكم { لعلكم تفلحون } كي تسعدوا وتبقوا في الجنة وقوله :

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (70)

أي : من العذاب { إن كنت من الصادقين } أن { فأتنا بما تعدنا } العذاب نازل بنا

قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين (71)

وجب { عليكم من ربكم رجس وغضب } عذاب { قال : قد وقع } وسخط { أتجادلونني في أسماء سميتموها } كانت لهم أصنام

سموها أسماء مختلفة فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استنكروا عبادة الله وحده { ما نزل الله بها من سلطان } من حجة وبرهان لكم في عبادتها { فانتظروا } العذاب { إني معكم من المنتظرين } ذلك في تكذيبهم إياي وقوله :

فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (72)

فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما { كانوا مؤمنين

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (73)

أي : سهل الله عليكم أمرها فليس { فذروها تأكل في أرض الله } عليكم رزقها ولا مؤونتها وقوله :

واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (74)

أي : أسكنكم وجعل لكم فيها مساكن { وبوأكم في الأرض } { تتخذون من سهولها قصورا } تبنون القصور بكل موضع { وتنحتون الجبال بيوتا } يريد : بيوتا في الجبال تشققونها وكانوا يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (75)

وهم الأشراف { الذين استكبروا من قومه } عن عبادة { قال الملأ } الله { للذين استضعفوا } يريد المساكين { لمن آمن منهم } بدل من قوله : { للذين استضعفوا } لأنهم المؤمنون

قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون (76)

{ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون }

فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (77)

نحروها { وعتوا عن أمر ربهم } عصوا الله وتركوا { فعقروا الناقة } أمره في الناقة { وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا } من العذاب

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (78)

وهي الزلزلة الشديدة { فأصبحوا في دارهم } { فأخذتهم الرجفة } بلدهم { جاثمين } خامدين ميتين

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (79)

أعرض عنهم صالح بعد نزول العذاب بهم { وقال يا { فتولى عنهم } قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم } خوفتكم عقاب الله وهذا كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى بدر

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (80)

وأرسلنا لوطا أي : واذكر لوطا { إذ قال لقومه أتأتون { ولوطا } الفاحشة } يعني : إتيان الذكور { ما سبقكم بها من أحد من العالمين } قالوا : ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط

إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (81)

الآية { إنكم لتأتون الرجال }

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (82)

يعني : { وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم } لوطا وأتباعه { إنهم أناس يتطهرون } عن إتيان الرجال في أدبارهم

فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (83)

ابنتيه { إلا امرأته كانت من الغابرين } الباقين في { فأنجيناه وأهله }

عذاب الله

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (84)

يعني : حجارة { وأمطرنا عليهم مطرا }

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (85)

وهم قبيلة من ولد إبراهيم عليه السلام { قد جاءتكم { وإلى مدين } بينة من ربكم } موعظة { فأوفوا الكيل والميزان } أتموهما وكانوا أهل كفر وبخس للمكيال والميزان { ولا تفسدوا في الأرض } لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله ببعثة شعيب والأمر بالعدل

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (86)

لا تقعدوا على طريق الناس { ولا تقعدوا بكل صراط توعدون } فتخوفون أهل الإيمان بشعيب بالقتل ونحو ذلك وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء { وتصدون عن سبيل الله من آمن به } وتصرفون عن الإسلام من آمن بشعيب { وتبغونها عوجا } تلتمسون لها الزيغ { واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم } بعد القلة وأعزكم بعد الذلة وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم وزوجه ريثا بنت لوط فولدت حتى كثر عدد أولادها

وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (87)

وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا { فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين }

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين (88)

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا { معناه أنهم قالوا لشعيب معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا وأصحابه : ليكونن أحد الأمرين إما الإخراج من القرية أو عودكم في ملتنا ولا نفارقكم على مخالفتنا فقال شعيب : { أو لو كنا كارهين } : أي : تجبروننا على العود في ملتكم وإن كرهنا ذلك ؟ وقوله

قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (89)

أي : إلا أن يكون { وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا } قد سبق في علم الله وفي مشيئته أن نعود فيها { وسع ربنا كل شيء علما } علم ما يكون قبل أن يكون { ربنا افتح } احكم واقض : { بيننا وبين قومنا بالحق } وقوله

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون (90)

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا { لخاسرون }

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (91)

{ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين }

الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين (92)

: أي : لم يقيموا فيها ولم ينزلوا وقوله { كأن لم يغنوا فيها }

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين (93)

أي : كيف يشتد حزني عليهم { فكيف آسى على قوم كافرين } ومعناه : الإنكار أي : لا آسى

وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (94)

في مدينة { من نبي } فكذبه أهلها { إلا { وما أرسلنا في قرية } أخذنا } هم { بالبأساء والضراء } بالفقر والجوع { لعلهم يضرعون } كي يستكينوا ويرجعوا

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (95)

بدل البؤس والمرض الغنى والصحة { ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة } { حتى عفوا } كثروا وسمنوا وسمنت أموالهم { وقالوا } من غرتهم وجهلهم : { قد مس آباءنا الضراء والسراء } قد أصاب آباءنا في الدهر مثل ما أصابنا وتلك عادة الدهر ولم يكن ما مسنا عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه فلما فسدوا على الأمرين جميعا أخذهم الله بغتة { وهم لا يشعرون } بنزول العذاب وهذا تخويف لمشركي قريش

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (96)

وحدوا الله { واتقوا } الشرك { لفتحنا { ولو أن أهل القرى آمنوا } عليهم بركات من السماء } بالمطر { و } من { الأرض } بالنبات والثمار { ولكن كذبوا } الرسل { فأخذناهم } بالجدوبة والقحط { بما كانوا يكسبون } من الكفر والمعصية

أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون (97)

يعني : أهل مكة وما حولها ومعنى هذه الآية { أفأمن أهل القرى } وما بعدها : أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلا ولا نهارا بعد تكذيب محمد : صلى الله عليه وسلم وقوله

أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (98)

أي : وهم في غير ما يجدي عليهم { وهم يلعبون }

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (99)

عذاب الله أن يأتيهم بغتة { أفأمنوا مكر الله }

أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون (100)

يتبين { للذين يرثون الأرض من بعد أهلها } كفار مكة { أولم يهد } ومن حولهم { أن لو نشاء أصبناهم } عذبناهم { بذنوبهم } ثم { ونطبع على قلوبهم } حتى يموتوا على الكفر فيدخلوا النار والمعنى : ألم يعلموا أنا لو نشاء فعلنا ذلك

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (101)

التي أهلكت أهلها { نقص عليك من أنبائها } نتلو { تلك القرى } عليك من أخبارها كيف أهلكت { ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات } يعني : الذين أرسلوا إليهم { فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل } فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عندإرسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم فأقروا بلسانهم وأضمروا التكذيب { كذلك } أي : مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم { يطبع الله على قلوب الكافرين } الذين كتب عليهم ألا يؤمنوا أبدا

وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (102)

يعني : الوفاء بالعهد الذي عاهدهم { وما وجدنا لأكثرهم من عهد } يوم الميثاق

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (103)

الأنبياء الذين جرى ذكرهم { موسى بآياتنا إلى { ثم بعثنا من بعدهم } فرعون وملئه فظلموا بها } فجحدوا بها وكذبوا { فانظر } بعين : قلبك { كيف كان } عاقبتهم وكيف فعلنا بهم وقوله

وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين (104)

{ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين }

حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل (105)

أي : أنا حقيق بأن لا أقول { على الله إلا } { حقيق على أن لا أقول } ما هو { الحق } وهو أنه واحد لا شريك له { قد جئتكم ببينة من ربكم } أي : بأمر من ربكم وهو العصا { فأرسل معي بني إسرائيل } أ ي : أطلق عليهم وخلهم وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال : الشاقة وقوله

قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (106)

{ قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين }

فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (107)

أي : العصا { ثعبان } وهو أعظم ما يكون من الحيات { فإذا هي } { مبين } بين أنه حية لا لبس فيه

ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (108)

أخرجها من جيبه { ونزع يده }

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (109)

{ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم }

يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (110)

هذا قول الأشراف من قوم فرعون { يريد أن يخرجكم من أرضكم } قالوا : يريد موسى أن يخرجكم معشر القبط من أرضكم ويزيل ملككم بتقوية عدوكم بني إسرائيل فقال فرعون لهم : { فماذا تأمرون } أيش تشيرون به علي ؟

قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين (111)

أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل { وأرسل في { قالوا أرجه وأخاه } المدائن } في مدائن صعيد مصر { حاشرين } رجالا يحشرون إليك من في الصعيد من السحرة فأرسل { وجاء السحرة فرعون } وطالبوه بالمال والجوائز إن غلبوه فأجابهم فرعون إلى ذلك وهو قوله :

يأتوك بكل ساحر عليم (112)

{ يأتوك بكل ساحر عليم }

وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (113)

{ وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين }

قال نعم وإنكم لمن المقربين (114)

أي : ولكم من الأجر المنزلة { قال نعم وإنكم لمن المقربين } الرفيعة عندي

قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (115)

عصاك { وإما أن نكون نحن الملقين { قالوا يا موسى إما أن تلقي } } ما معنا من الحبال والعصي

قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم (116)

قلبوها عن { قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم } صحة إدراكها حيث رأوها حيات { وجاؤوا بسحر عظيم } وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا فإذا هي حيات قد ملأت الوادي

وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (117)

تبتلع { ما { وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف } يأفكون } يكذبون فيه وذلك أنهم زعموا أن عصيهم وحبالهم حيات وكذبوا في ذلك

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (118)

ظهر وغلب { فوقع الحق }

فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (119)

وانصرفوا { صاغرين } ذليلين { فغلبوا هنالك وانقلبوا }

وألقي السحرة ساجدين (120)

خروا لله عابدين سامعين مطيعين { وألقي السحرة ساجدين }

قالوا آمنا برب العالمين (121)

{ قالوا آمنا برب العالمين }

رب موسى وهارون (122)

{ رب موسى وهارون }

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (123)

أصدقتم موسى من قبل { قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم } أمري إياكم ؟ ! { إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة } لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع { لتخرجوا منها أهلها } لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها وتتغلبوا عليها بسحركم { فسوف تعلمون } ما يظهر لكم

لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (124)

على مخالفة وهو أن يقطع { لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف } من كل شق طرف

قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (125)

راجعون بالتوحيد والإخلاص { قالوا إنا إلى ربنا منقلبون }

وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (126)

وما تطعن علينا ولا تكره منا { إلا أن آمنا بآيات ربنا { وما تنقم منا } } ما أتى به موسى من العصا واليد { ربنا أفرغ علينا صبرا } اصبب علينا الصبر عند الصلب والقطع حتى لا نرجع كفارا { وتوفنا مسلمين : } على دين موسى ثم أغرى الملأ من قوم فرعون بموسى فقالوا

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (127)

ليدعوا الناس إلى { أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض } مخالفتك وعبادة غيرك { ويذرك وآلهتك } وذلك أن فرعون كان قد صنع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال : أنا ربكم ورب هذه الأصنام فلذلك قوله : { أنا ربكم الأعلى } فقال فرعون : { سنقتل أبناءهم } وكان قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان أعاد عليهم القتل فذلك قوله : { سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم } للمهنة والخدمة { وإنا فوقهم قاهرون } وإنا على ذلك قادرون فشكا بنو إسرائيل إلى موسى إعادة القتل على : إبنائهم فقال لهم موسى

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (128)

على ما يفعل بكم { إن الأرض لله يورثها { استعينوا بالله واصبروا } من يشاء من عباده } أطمعهم موسى أن يعطيهم الله ملكهم ومالهم { والعاقبة للمتقين } أي : الجنة لمن اتقى وقيل النصر والظفر

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (129)

بالقتل الأول { من قبل أن تأتينا } بالرسالة { ومن { قالوا أوذينا } بعد ما جئتنا } بإعادة القتل علينا والإتعاب في العمل { قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم } فرعون وقومه { ويستخلفكم في الأرض } يملككم ما كان يملك فرعون { فينظر كيف تعملون } فيرى ذلك لوقوع ذلك منكم

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (130)

بالجدوب لأهل البوادي { ونقص { ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين } من الثمرات } لأهل القرى وصرفنا الآيات : بيناها لهم من كل نوع { لعلهم يذكرون } كي يتعظوا

فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (131)

الخصب وسعة الرزق { قالوا لنا هذه } أي : { فإذا جاءتهم الحسنة } إنا مستحقوه على العادة التي جرت لنا من النعمة ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه { وإن تصبهم سيئة } قحط وجدب { يطيروا } يتشاءموا { بموسى } وقومه وقالوا : إنما أصابنا هذا الشر بشؤمهم

{ ألا إنما طائرهم عند الله } شؤمهم جاءهم بكفرهم بالله { ولكن أكثرهم لا يعلمون } أن الذي أصابهم من الله

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (132)

بموسى : { مهما تأتنا به } أي : متى ما تأتنا به { من آية { وقالوا } لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين } فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم السماء بالماء حتى امتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت : بني إسرائيل من الماء قطرة فذلك قوله

فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (133)

ودام ذلك سبعة أيام فقالوا : { يا موسى { فأرسلنا عليهم الطوفان } ادع لنا ربك } يكشف عنا فنؤمن لك فدعا ربه فكشف فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم فوعدوه أن يؤمنوا إن كشف عنهم فكشف فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم القمل وهو الدباء الصغار البق التي لا أجنحة لها فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم فصرخوا فكشف عنهم فلم يؤمنوا فعادوا بكفرهم فأرسل الله عليهم الضفادع تدخل في طعامهم وشرابهم فعاهدوا موسى أن يؤمنوا فكشف عنهم فعادوا لكفرهم فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما فذلك قوله : { آيات مفصلات } مبينات { فاستكبروا } عن عبادة الله

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل (134)

أي : العذاب وهو ما كانوا فيه من الجراد { ولما وقع عليهم الرجز }

وما ذكر بعده { قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك } بما أوصاك به وتقدم إليك أن تدعوه به { لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل } وقوله :

فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (135)

يعني : إلى الأجل الذي غرقهم فيه { إذا هم { إلى أجل هم بالغوه } ينكثون } ينقضون العهد ولا يوفون

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (136)

سلبنا نعمتهم بالعذاب { فأغرقناهم في اليم } في { فانتقمنا منهم } البحر { بأنهم كذبوا بآياتنا } جزاء تكذيبهم { وكانوا عنها غافلين } غير معتبرين بها

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (137)

ملكناهم { الذين كانوا يستضعفون } بقتل أبنائهم { وأورثنا القوم } واستخدام نسائهم { مشارق الأرض ومغاربها } جهات شرق أرض الشام وجهات غربها { التي باركنا فيها } بإخراج الزروع والثمار والأنهار والعيون { وتمت كلمة ربك الحسنى } مواعيده التي لا خلف فيها بما كانوا يحبون وذلك جزاء صبرهم على صنيع فرعون { ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه } أهلكنا ما عمل فرعون وقومه في أرض مصر { وما كانوا يعرشون } وما بنوا المنازل والبيوت

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (138)

عبرنا بهم البحر { فأتوا على قوم { وجاوزنا ببني إسرائيل البحر } يعكفون على أصنام لهم } يعبدونها مقيمين عليها { قالوا يا موسى اجعل لنا إلها } من دون الله { كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون } نعمة الله عليكم وما صنع بكم حيث توهمتم أنه يجوز عبادة غيره

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (139)

يعني : الذين عكفوا على أصنامهم { متبر ما هم فيه } { إن هؤلاء } مهلك ومدمر { وباطل ما كانوا يعملون } يعني : إن عملهم للشيطان ليس لله فيه نصيب

قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (140)

أطلب لكم { إلها } معبودا { وهو فضلكم { قال أغير الله أبغيكم } على العالمين } على عالمي زمانكم بما أعطاكم من الكرامات

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (141)

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم } { ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (142)

يترقب انقضاءها للمناجاة وهي ذو { وواعدنا موسى ثلاثين ليلة } القعدة أمره الله تعالى أن يصوم فيها فلما انسلخ الشهر استاك لمناجاة ربه يريد إزالة الخلوف فأمر بصيام عشرة من ذي الحجة ليكلمه بخلوف فيه فذلك قوله : { وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه } أي : الوقت الذي قدره الله لصوم موسى { أربعين ليلة } فلما أراد الانطلاق إلى الجبل استخلف أخاه هارون على قومه وهو معنى قوله : { وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح } أي : وارفق بهم { ولا تتبع سبيل المفسدين } لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين (143)

أي : في الوقت الذي وقتنا له { وكلمه { ولما جاء موسى لميقاتنا } ربه } فلما سمع كلام الله { قال رب أرني } نفسك { أنظر إليك } والمعنى : إني قد سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك { قال لن تراني } في الدنيا { ولكن } أجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك وهو الجبل { فإن استقر مكانه } أي : سكن وثبت { فسوف تراني } وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي { فلما تجلى ربه } أي : ظهر وبان { جعله دكا } أي : مدقوقا مع الأرض كسرا ترابا { وخر } وسقط { موسى صعقا } مغشيا عليه { فلما أفاق قال سبحانك } تنزيها لك من السوء { تبت إليك } من مسألتي الرؤية في الدنيا { وأنا أول المؤمنين } أول قومي إيمانا

قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (144)

اتخذتك صفوة { على الناس { قال يا موسى إني اصطفيتك } برسالاتي } أي : بوحيي إليك { وبكلامي } كلمتك من غير واسطة { فخذ ما آتيتك } من الشرف والفضيلة { وكن من الشاكرين } لأنعمي في الدنيا والآخرة

وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين (145)

يعني : ألواح التوراة { من كل شيء } يحتاج { وكتبنا له في الألواح } إليه في أمر دينه { موعظة } نهيا عن الجهل { وتفصيلا لكل شيء } من الحلال والحرام { فخذها } أي : وقلنا له : فخذها { بقوة } بجد وصحة وعزيمة { وأمر قومك } أن { يأخذوا بأحسنها } أي : بحسنها وكلها حسن { سأريكم دار الفاسقين } يعني : جهنم أي : ولتكن على ذكر منكم لتحذروا أن تكونوا منهم

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (146)

يعني : السماوات والأرض أصرفهم عن { سأصرف عن آياتي } الاعتبار بما فيها { الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق } يعني : المشركين يقول : أعاقبهم بحرمان الهداية { وإن يروا سبيل الرشد } الهدى والبيان الذي جاء من الله { لا يتخذوه سبيلا } دينا { وإن يروا سبيل الغي } طاعة الشيطان { يتخذوه سبيلا } دينا { ذلك } فعل الله بهم { بأنهم كذبوا بآياتنا } جحدوا الإيمان بها { وكانوا عنها

غافلين } غير ناظرين فيها ولا معتبرين بها

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (147)

يريد : الثواب والعقاب { حبطت { والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة } أعمالهم } ضل سعيهم { هل يجزون إلا ما } أي : جزاء ما { كانوا يعملون }

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين (148)

أي : من بعد انطلاقه إلى الجبل { واتخذ قوم موسى من بعده } { من حليهم } التي بقيت في أيديهم مما استعاروه من القبط { عجلا جسدا } لحما ودما { له خوار } صوت { ألم يروا } يعني : قوم موسى { أنه } أن العجل { لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا } لا يرشدهم إلى دين { اتخذوه } أي : إلها ومعبودا { وكانوا ظالمين } مشركين

ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (149)

أي : ندموا على عبادتهم العجل { ورأوا { ولما سقط في أيديهم } أنهم قد ضلوا } قد ابتلوا بمعصية الله وهذا كان بعد رجوع موسى إليهم

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من

بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين (150)

عليهم { أسفا } حزينا لأن { ولما رجع موسى إلى قومه غضبان } الله تعالى فتنهم { قال بئسما خلفتموني من بعدي } بئسما عملتم من بعدي حين اتخذتم العجل إلها وكفرتم بالله { أعجلتم أمر ربكم } أسبقتم باتخاذ العجل ميعاد ربكم ؟ يعني : الأربعين ليلة وذلك أنه كان قد وعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثين ليلة فلما لم يأتيهم على رأس الثلاثين قالوا : إنه قد مات { وألقى الألواح } التي فيها التوراة { وأخذ برأس أخيه } بذؤابته وشعره { يجره إليه } إنكارا عليه إذ لم يلحقه فيعرفه ما فعل بنو إسرائيل كما قال في سورة طه : { قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * أن لا تتبعن } الآية فأعلمه هارون أنه إنما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله : { قال ابن أم } وكان أخاه لأبيه وأمه ولكنه قال : يا ابن أم ليرققه عليه { إن القوم استضعفوني } استذلوني وقهروني { وكادوا } وهموا أن { يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء } يعني : أصحاب العجل بضربي وإهانتي { ولا تجعلني } في موجدتك وعقوبتك لي { مع القوم الظالمين } الذين عبدوا العجل فلما عرف براءة هارون مما يوجب العتب عليه إذ بلغ من إنكاره على عبدة العجل ما خاف على نفسه القتل

قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (151)

ما صنعت إلى أخي { ولأخي } إن قصر في { قال رب اغفر لي } الإنكار { وأدخلنا في رحمتك } جنتك

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (152)

يعني : اليهود الذين كانوا في عصر النبي { إن الذين اتخذوا العجل } صلى الله عليه وسلم وهم أبناء الذين اتخذوا العجل إلها فأضيف إليهم تعييرا لهم بفعل آبائهم { سينالهم غضب من ربهم } عذاب في الآخرة { وذلة في الحياة الدنيا } وهي الجزية { وكذلك نجزي المفترين } كذلك أعاقب من اتخذ إلها دوني

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (153)

الشرك { ثم تابوا } رجعوا عنها { وآمنوا { والذين عملوا السيئات } } صدقوا أنه لا إله غيري { إن ربك من بعدها } من بعد التوبة { لغفور رحيم }

ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (154)

سكن { عن موسى الغضب أخذ الألواح } التي كان { ولما سكت } ألقاها { وفي نسختها } وفيما كتب فيها : { هدى } من الضلالة { ورحمة } من العذاب { للذين هم لربهم يرهبون } للخائفين من ربهم

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين (155)

من قومه { سبعين رجلا لميقاتنا } أمره الله { واختار موسى قومه } تعالى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعده لذلك موعدا فاختار موسى سبعين رجلا ليعتذروا فلما سمعوا كلام الله قالوا لموسى : أرنا الله جهرة فأخذتهم { الرجفة } وهي الحركة الشديدة فماتوا جميعا فقال موسى : { رب لو شئت أهلكتهم } وإياي قبل خروجنا للميقات وكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني وظن أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل فقال : { أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } وإنما أهلكوا لمسألتهم الرؤية { إن هي إلا فتنتك } أي : تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لو تكن إلا فتنتك أي : اختبارك وابتلاؤك أضللت بها قوما فافتتنوا وعصمت آخرين وهذا معنى قوله : { تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء }

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (156)

أوجب لنا { في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة } أي : { واكتب لنا } اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة { إنا هدنا إليك } تبنا ورجعنا إليك بالتوبة { قال عذابي أصيب به من أشاء } يعني : إن رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي في الآخرة للمؤمنين خاصة وهذا معنى قوله : { فسأكتبها } فسأوجبها في الآخرة { للذين يتقون } يريد : أمة محمد صلى الله عليه وسلم { ويؤتون الزكاة } صدقات الأموال عند محلها { والذين هم بآياتنا يؤمنون } يصدقون بما أنزل على محمد والنبيين

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (157)

وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي } وكانت هذه الخلة مؤكدة لمعجزته في القرآن { الذي يجدونه } بنعته وصفته { مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف } بالتوحيد وشرائع الإسلام { وينهاهم عن المنكر } عبادة الأوثان وما لا يعرف في شريعة { ويحل لهم الطيبات } يعني : ما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل وشحوم الضأن { ويحرم عليهم الخبائث } الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة { ويضع عنهم إصرهم } ويسقط عنهم ثقل العهد الذي أخذ عليهم { والأغلال التي كانت عليهم } الشدائد التي كانت عليهم كقطع أثر البول وقتل النفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة { فالذين آمنوا به } من اليهود { وعزروه } ووقروه { ونصروه } على عدوه { واتبعوا النور الذي أنزل معه } يعني : القرآن الآيتين

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (158)

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك } السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله { النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون